وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة العربي التّبسي – تبسة
كلّية الآداب واللّغات
قسم اللّغة والأدب العربي

حضور الأيديولوجيا في الخطاب الأدبي دراسة في كتاب "الأدب والأيديولوجيا لعمار بلحسن"

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر (ل.م.د) في الأدب العربي
تخصص: نقد حديث ومعاصر

إعداد الطالب:
عنترة عمير

إشراف:
الشريف حبيلة

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	المؤسسة الأصلية	الصفة
رضا زواري	أستاذ مساعد –أ–	جامعة العربي التبسي تبسة	رئيسا
الشريف حبيلة	أستاذ التعليم العالي	جامعة العربي التبسي تبسة	مشرفا ومقرّرا
عبد الله عبان	أستاذ محاضر –ب–	جامعة العربي التبسي تبسة	عضوا مناقشا

السّنة الجامعية: 2018 / 2019

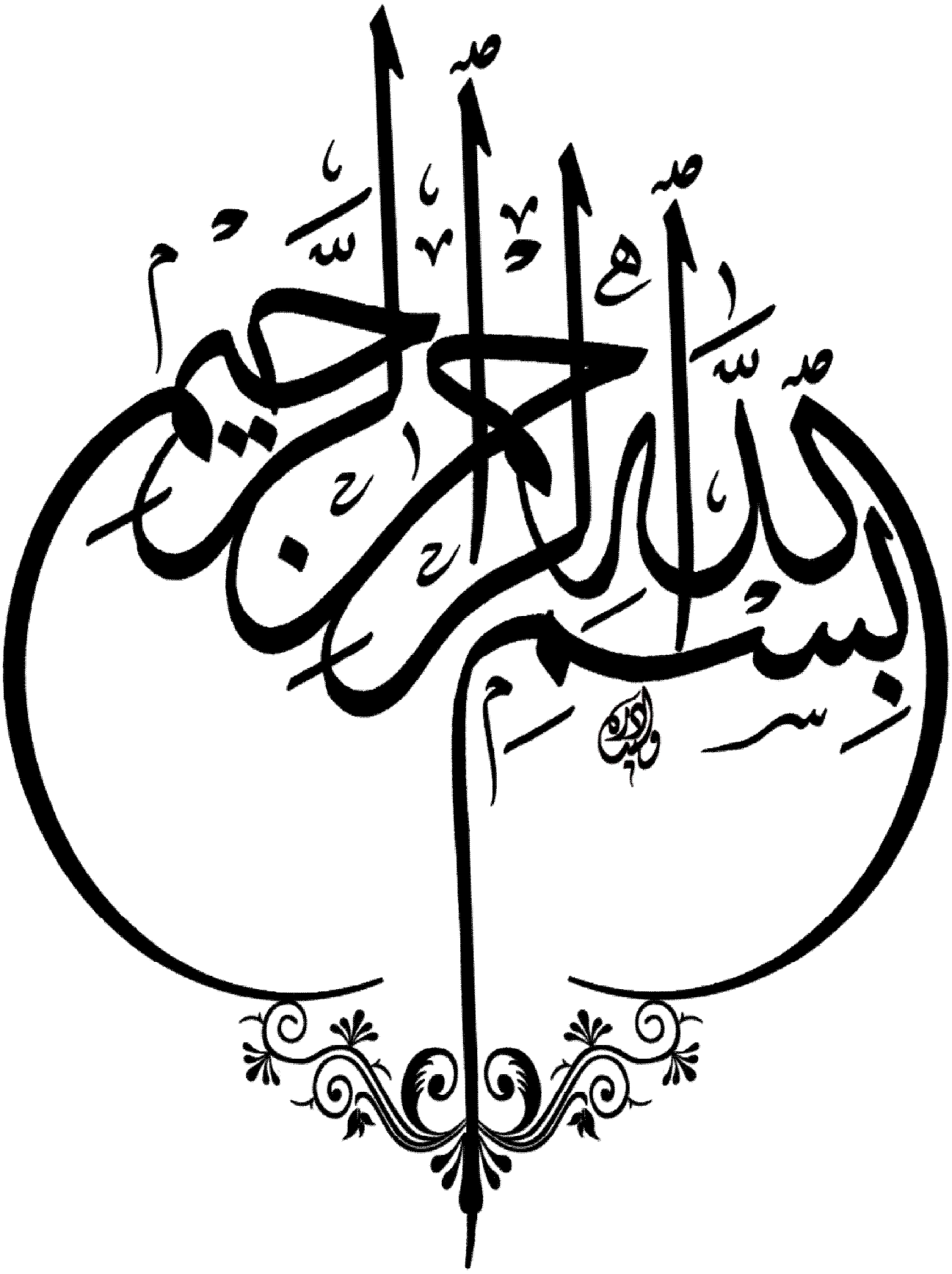
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

قال تعالى:"وإذ تأذَن ربّكم لئن شكرتم لأزيدنّكم"سورة ابراهيم الآية07

لله الفضل و المنَة وله الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه.

نشكره لأنّه منحنا العون والقدرة على اتمام هذا العمل وأنعم علينا بنعمة العقل والفهم

والصّبر ونور العلم.

كما أتقدّم بالشكر الجزيل والعرفان إلى الأستاذ المشرف القدير والمحترم حبيلة الشّريف

الذي ساعدني وصبر معي على إخراج هذا البحث، كما أنّ الشكر موصول للأساتذة من

أعضاء لجنة المناقشة وكلّ من ساعدني وقدّم لي نصيحة أو كتابا و أخصّ بالذّكر

الأستاذين الفاضلين "رضا زواري" و"عبد الله عبّان" كما أشكر كل الأساتذة بقسم الأدب

واللغة العربية بجامعة الشيخ العربي التبسي.

إهـداء

يسعدني أن أهدي هذا العمل المتواضع إلى والديَ اللّذين علماني حبّ طلب العلم إلى

زوجتي ورفيقة دربي التي شجّعتني على مواصلة العمل إلى ولدي فراس وبهاء الدين

اللّذين آمل أن يحبّا اللغة العربية كما أحبها والدهما.

إلى كلّ الإخوة والأصدقاء والزملاء

مقدمة

مقدمة

الأدب مجال حيوي ينفتح على مجالات أخرى، يشكل علاقات كثيرة مع العلوم الإنسانية كالفلسفة، وعلم الاجتماع والعلوم السياسية، والتاريخية وغيرها، وقد غدا مع مرور الزمن، وبتغير الأوضاع الاجتماعية، يضم بين كلماته تعبيرات عن الوقائع والأحداث والصراعات السياسية، والتاريخية والاقتصادية، ولم يبق بتلك الصورة العفوية كما في العصور الماضية، فقد أصبح الأديب ضمير المجتمع بعدما كان ضميرا للقبيلة واتسعت مهمَته ووظيفته، وبتغير النظام من نظام القبيلة إلى نظام الدولة وبتشكل الطبقات الاجتماعية والأحزاب السياسية، انقسم المجتمع إلى طبقات وجماعات، لكل طبقة خصائصها وقوانينها، وأدبها أيضا، وهذا ما جعل الأدب مؤدلجا، تتخلله الأيديولوجيا وترافق نصوصه، فأصبحت تمثّل جزءا كبيرا منه، وذلك بتصويره ما يحدث من صراعات وتناقضات بين طبقات المجتمع، ولعل هذه الوظيفة ملازمة للأدب منذ القديم، وظيفة التصوير حتى شبه بالمرآة العاكسة، وهكذا فالأيديولوجيا هي الرابط الذي يربط بين العلوم الإنسانية والأدب، وكونها مجالا من مجالات العلوم الإنسانية، فقد تشكلت بينها وبين الأدب علاقة شغلت اهتمام العديد من النقاد والباحثين مدة طويلة ولعلها إلى اليوم سجلت اختلافا كثيرا بينهم.

والأدب والأيديولوجيا أطروحتان متكاملتان، وهذا إذا تحدثنا عن الأدب كونه تعبيرا عن كل ما يتعلق بالإنسان، ومترجما لأفكاره وتصوراته، وناقلا لأحاسيسه ومشاعره ومرآة عاكسة للمجتمع بكل مظاهره وأحداثه، في حين تعد الأيديولوجيا تصورا للعالم تتجلى في مجالات كثيرة كالفن والاقتصاد والقانون، وتشمل كل مظاهر الحياة الفردية والجماعية، أطلق عليها"علم الأفكار" محتواها ديني أو اقتصادي أو سياسي...الخ.

ولكل من الأطروحتين تعريفات متعددة تختلف باختلاف الباحثين والنقاد وحسب الوسط والمحيط الذي ينتمون إليه هذا فيما يخص الأدب والأيديولوجيا بصفة عامة، أما فيما يخص الرواية كجنس أدبي خاص فلها علاقة قوية بالأيديولوجيا، كونها شكل أدبي خاص تتجلى فيه الأيديولوجيا بصورة أوسع، وذلك لما صورته من أحداث تاريخية وصراعات وثورات ونخص الرواية البورجوازية.

وتأسيسا على ما سبق وتلخيصا لما ورد في كتاب الأدب والأيديولوجيا "لعمار بلحسن" وما عبر عنه من تناقض وتعقيد بين الأطروحتين الأدب والأيديولوجيا، دعانا إلى محاولة تحليل بعض القضايا عند هذا الباحث والسعي إلى تبسيطها والنظر إلى هذا الطرح من زاوية أخرى فاخترنا عنوان البحث"حضور الأيديولوجيا في الخطاب الأدبي" طرحا.

للوصول إلى حقيقة تشكل العلاقة بين هاتين الأطروحتين، ونظرا لاتساع هذا الموضوع وتشعبه، سعينا إلى جمع واستحضار بعض الآراء التي توافق طرح "بلحسن" لباحثين ونقاد معاصرين غربيين وعرب وذلك من أجل حصر وضبط تشكل العلاقة بين الأدب والأيديولوجيا والنظر من جوانب عديدة، وهذا ما دعانا إلى طرح الإشكال كيف تحضر الأيديولوجيا في الخطاب الأدبي من وجهة نظر عمار بلحسن وما الذي يجعلها عنصرا جماليا وفق رؤيته؟، ولماذا تتجلى في الرواية كجنس أدبي خاص دون غيرها من الأجناس الأدبية الأخرى، كما يقدمها بلحسن؟، وهل كل الروايات تتخللها الأيديولوجيا أم أن بلحسن يقصد نوعا معينا من الروايات؟ وهل المنهج الذي اتبعه للكشف عن هذه العلاقة بين الأدب والأيديولوجيا هو المنهج المناسب؟.

استدعت هاته الإشكالية، محاولة دراسة كتاب"الأدب والأيديولوجيا" لعمار بلحسن، لما لها من أهمية بالغة في الدراسات الأدبية المعاصرة وخاصة في مجال التحليل الروائي، وهذا ما جعل بلحسن يبادر إلى اكتشاف منهج علمي جمع فيه بين التحليل السوسيولوجي واللغوي-الدلالي للرواية كما صرح بذلك، حيث يعده منهجا مخالفا للأبحاث والدراسات التي سبقته، لتوضيح العلاقة بين الأدب والأيديولوجيا، وبدورنا، وما لمسناه من أهمية الموضوع الذي طرحه بلحسن، وما فيه من انشغالات ثرية تفيد الباحث والدارس المعاصر لقضية الأدب والأيديولوجيا سعينا وراء الكشف عن هذه المطارحات الواسعة التي قدمها، من خلال استحضار بعض الخلفيات الفلسفية التاريخية والمعرفية بإعتمادنا دراسة موضوعية من منظور نقد النقد.

لقد تدرج "بلحسن" في بحثه وقسم عمله إلى قسمين: تدور محاور القسم الأول حول الأيديولوجيا، مفهومها وظائفها وعلاقتها بالمثقفين مع التركيز على تنظير المفكر الإيطالي"أنطونيو غرامشي" للأيديولوجيا.

أمّا محاور القسم الثاني فقد سعى إلى الكشف عن العلاقة التي تجمع بين الأدب والأيديولوجيا كأطروحتين متضادتين معقّدتين مع تحليل سوسيولوجي ولغوي دلالي للرواية التي تعتبر الجنس الأدبي الذي يمثل تطوّرا وامتداد لأحداث وصراعات تاريخيّة معينة تصور وقائع الدولة البورجوازية، خاتما ذلك بطرح رأي"لوسيان غولدمان".

وصغنا ما ذكرناه سلفا في خطة منهجية تناولنا بداية مدخلا يتضمّن تعريفات لمصطلحات العنوان (مفهوم الأدب قديما وحديثا وعند النقاد المعاصرين العرب والغرب ومفهوم الأيديولوجيا لدى الماركسيين والرأسماليين، ووظيفة الأدب وعلاقة الأدب بالأيديولوجيا) تطرّقنا في هذه العناصر إلى ماهية الأدب ووظائفه الكثيرة كنتاج اجتماعي لغوي وركّزنا على التعاريف التي تخدمنا في بحثنا، ثم انتقلنا إلى ماهية الأيديولوجيا واخترنا تعاريفا ماركسية ورأسمالية مع مقارنتها بتعريف"أنطونيو غرامشي" الذي اختاره "بلحسن"، وتطرّقنا بعدها إلى علاقة الأدب بالأيديولوجيا حيث توصلنا في هذا المدخل إلى نتائج أولية ساعدتنا على الولوج في الموضوع ومعرفة بعض الجزئيات.

أما القسم التطبيقي تناولنا فيه فصلين الأول بعنوان"مقاربة الأيديولوجيا دورها وفعاليتها عند المنظر الإيطالي"أنطونيو غرامشي"، وضم هذا الفصل قضية الأيديولوجيا كمفهوم ماركسي وربطه بمشكلة المثقفين، بّينا فيه سبب اختيار بلحسن لمفهوم الأيديولوجيا عند"غرامشي" وسبب ربطها بالمثقفين ووظائفها وكيف تكون عنصرا جماليا أدبيا.

وعرضنا في الفصل الثاني بعنوان"حضور الخطاب الأيديولوجي في الأدب" الإشكال الذي طرحه "بلحسن " لدراسته"العلاقة بين الأدب والأيديولوجيا" مع تقديم نظري، ثم انتقلنا إلى الجماعات الأيديولوجية وكيفية اشتغال الأيديولوجيا داخلها، وعلاقة هذه الجماعات بالأدب، ثم الأيديولوجيا وكيفية حضورها وتشكلها في الخطاب الأدبي، وبصفة عامة ثم الرواية كجنس أدبي خاص عند المنظر "الهنغاري" جورج لوكاتش ووصولا إلى سوسيولوجيا الرواية ودراستها وربطها بمرحلة تاريخية معينة وربطها بثوبها الجديد، ثم الرواية تحليلا لغويا دلاليا مما جعل الحديث ينقاد إلى الكلمة في الرواية عند باختين وهذا لتوضيح أن التحليل السوسيولوجي وحده غير كاف بل يجب التطرق إلى التحليل اللغوي الدلالي وفي الأخير عرضنا علاقة الأدب والأيديولوجيا بنيويا تكوينيا توصلنا فيه إلى

نتائج وكملخص من خلال المزج بين اللغة كمادَة أولية للنصوص الأدبية والأيديولوجيا وصلتها بالوقائع الاجتماعية.

وخاتمة البحث قدمنا فيها جملة من النتائج المتحصل عليها بعد هذا الجهد المتواضع لما شملته أطروحتا الأدب والأيديولوجيا من تداخل وتمازج بينهما.

وكأيّ بحث لا يخلو من الصعوبات، فإنّ أهم الصعوبات التي اعترضتنا هي تشعب العلاقة بين الأدب والأيديولوجيا، فالكشف عن هذه العلاقة يستدعى التمعن في خلفياتها، واختيار الآراء المدروسة سابقا ومقارنتها بالقضايا التي عالجها"بلحسن" وباعتمادنا دراسة من منظور نقد النقد ليس بالأمر الهين قراءة باحث مثل"بلحسن" وما ورد في كتابه"الأدب والأيديولوجيا"من قضايا كانت عميقة وفلسفية بذاتها جاءت محاولتنا لتبسيط بعض القضايا واستحضار خلفيّات العلاقة بين الأدب والأيديولوجيا، ومقارنتها بما يوافقها وما يخالفها عند باحثين آخرين، ولجمع بعض النتائج مع العلم أن الدراسات في هذا المجال كثيرة ومتعددة وقد اعتمدت مجموعة من المصادر والمراجع أهمها:

-الذهبي اليوسفي: الأدب والأيديولوجيا في النقد العربي الحديث.

-حميد الحميداني: النقد الروائي والأيديولوجيا من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي.

-عبد الله العروي: الأيديولوجيا العربية المعاصرة.

-جورج لوكاتش: الرواية التاريخية.

-ميخائيل باختين: الكلمة في الرواية.

وختاما لا يسعني إلا أن أتقدّم بجزيل الشّكر والعرفان لأستاذي الفاضل والقدير"الشريف حبيلة" الذي كان خير المرشد والموجه وأسجّل له كامل امتناني على نصائحه القيمة والغالية داعيا له بالتوفيق وأن يجازيه الله ويديمه ذخرا وسندا في إنارة طريق العلم للأجيال.

مدخل:

مفاهيم الأدب والأيديولوجيا

تعددت مفاهيم الأدب منذ القديم شأنه في ذلك شأن كل المجالات الأخرى، إلا أن الأدب نال القسط الأوفر بالاهتمام باعتباره وسيلة مرنة، لكشف سر الحياة وتفسيرها وتصويرها، فهو يكشف الغامض ويصوره باستمرار حتى يمضيه إلى ذهن القارئ فينزع عنه غموضه ويبين له مجهوله وخباياه، ولئن عرف الأدب بأنه المرآة العاكسة لواقع مجتمع معين عند البعض، فقد عرف كذلك بأنه الكلام الجيد من شعر ونثر وسير وأخبار و تاريخ، وكذا من آداب وأخلاق ...فما مفهوم الأدب وما مدلوله عند الأدباء والنقاد والمفكرين القدامى والمعاصرين.؟

أولا- مفهوم الأدب قديما: هو"علم يقصد به الإجادة في فنّي المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم، وحفظ أشعارهم وأخبارهم" (تحديد أدبي قديم). [1]

من خلال هذا المفهوم الأول للأدب يتضح جليا أن الأدب علم يختص بما صدر عن العرب من شعر ونثر، ولكن ليس كل كلام، وإنما يقصد به هنا الكلام الذي بلغ الجودة، وما كان على منوال ما قالته العرب وأجادت فيه وكذا التزّود بما يخصّهم من أخبار وسير وتاريخ

ويعرفه ابن خلدون قديما في مقدمته بأنّه: "الإجادة في المنظوم والمنثور"، "ان كل تعبير شعرا أو نثرا يراعي قواعد اللغة، ويدغدغ الفكر وأغوار النفس بأسلوبه ومعناه هو أدب[2] وبذلك فالأدب شعرا ونثرا عند ابن خلدون ما بلغ الجودة وراعى قواعد اللغة وأثر في النفس والفكر فذلك هو الأدب وقد ذهب بعض المستشرقين أمثال "**فلورز ونيلنو**" إلى أنّ (**آداب**) ما هي أصلا إلا جمع للفظة (دأب) بمعنى العادة والديدن والشأن مبعدين بها عن جذر" دأب" والبارز من المتون القديمة أن هذه الكلمة، في نموَها الزمني، وثرائها الدلالي، تضمّنت معاني لصيقة بالشّمائل النّفسية، والتربية الّرفيعة والأنس بالآخرين وقد ظل هذا المعنى الخلقي ملتصقا بها خلال مرحلة زمنية طويلة فقيل: أدب النديم، وأدب

[1]- جبور عبد النور المعجم الأدبي دار العلم للملايين، بيروت ط1، 1989 ص 315.

2- أنطونيوس بطرس الأدب تعريفه-أنواعه-مذاهبه-المؤسسة الحديثة للكتاب طرابلس لبنان د ط 2005 ص 9، 10.

الحديث، وأدب الدرس...الخ[1] إن الإبتعاد عن جذر كلمة أدب في نظر المستشرقين "فلورز" و"نيلنو" ووضعها جمعا للفظة"دأب" والتي تعني العادات والتّقاليد والّديدن والّشأن، تشير إلى أنَ الأدب معناه تصوير الأوضاع وطريقة العيش والعادات والتقاليد عند مجتمع ما، وهذا في نظر القدماء أمثال: الجاحظ وأبي حيان التوحيدي.

أمّا الأدب في معناه الحديث فهو:"علم يشمل أصول فن الكتابة ويعنى بالآثار الخطية، النثرية والشعرية وهو المعبر عن حالة المجتمع البشري والمبيّن بدقّة وأمانة عن العواطف التي تعمل في نفوس شعب أو جيل من الناس أو حضارة من الحضارات..."[2]

وهنا يّتفق القدماء والمحدثون في مفهوم الأدب، بأنّه علم يشمل الكتابة في فنّي الّشعر والّنثر ويتناول قضايا المجتمع من عادات وتقاليد وتصوير لحياة الناس، وتعبيرا عن مشاعرهم وعواطفهم و أخلاقهم وأعمالهم اليومية.

وبتعدّد مفاهيم الأدب عند القدامى والمحدثين من الضروري الإشارة إلى مفهوم أو مفهومين آخرين للأدب حتى تتضح الصورة أكثر.

يرى محمد الّتنوخي[3] في كتابه "المعجم المفصل في الأدب" "أنّ للكلمة معنيان" معنى مادي" من أدب مأدبة، بمعنى أولم وليمة و"معنى روحي": تطور مع الزمن حيث مّرت هذه الكلمة بمراحل عديدة تطّورت في مفهومها فقد كانت معروفة في العصر الجاهلي بمعنى"الخلق النبيل الكريم".

شاع استعمال لفظة "أدب" وتعددت مشتقّاتها فأطلقت على جماعة المربّين والمعلّمين وأخذت لها معنيين في أواسط القرن الأول للهجرة معنى خلقي تهذيبي ومعنى تعليمي، أما في العصر العباسي توّسع مفهوم هذه الّلفظة وقّسم إلى أربعة معاني معنى خاص ويشمل الّشعر والّنثر ومعنى عام يتناول المعارف الانسانية وأدب الّنفس ويتناول كل أسلوب منمّق

[1] –جبور عبد النور المعجم الأدبي ص 315.

[2] – المرجع نفسه ص 316.

[3] – محمد التنوخي المعجم المفصل في الأدب دار الكتاب العلمية بيروت ط2 1999 ص 46.

في علم أو عمل أو حرفة" وكذا ما يستعين به المرء على فهم الأدب ونقده من لغة ونحو وأخبار...الخ.

أما اليوم إذا اقتصرنا على تعريف كلمة أدب فهو"ما عبر عن معنى من معاني الحياة **بأسلوب** جميل" أو هو"الكلام الذي ينقل إلى السامع أو القارئ التجارب أو الإنفعالات النفسية".[1]

وعليه فإن الأدب ما عبّر عن معاني الحياة ونقل التجارب والإنفعالات النّفسية، بأسلوب جميل وراق حتى يؤثّر في نفس القارئ.

وحديثا قسّم الأدب إلى نوعين: أدب عام أدب و خاص[2] ولعلّ في تقسيمه ذاك تفصيل أكثر لكلمة أدب، ومهما يكن فالأدب بنوعيه أكثر جاذبية وإمالة للسّامع، فقد جمع كّل ما يتعلّق بحياة الإنسان والمجتمع من أفكار وميولات وطموحات، وكذلك مااستحضر من تاريخ وسير وأخبار وتصوير لحياة الفرد والمجتمع، ففي معناه العام هو الأخذ من كل علم بطرف، وأما معناه الخاص: هو كل ما كان جيدا أو جميلا من كلام العرب شعرا أو نثرا، هذا فيما يخص معنى الأدب ومفهومه بالنسبة للقدامى والمحدثين فما مفهومه عند النقاد والمعاصرين الغربيين والعرب؟

1- مفهوم الأدب عند النقاد المعاصرين الغرب:

إنّ تعريفات الأدب متعدّدة ومختلفة في الوقت نفسه، ولعلّ السبب الّرئيسي في تعدّدها يرجع إلى تعدّد الفلسفات واختلاف نظرتها للأدب، فليس مفهوم الأدب قديما هو نفسه عند الّنقاد المعاصرين سواء الغرب أو العرب، فالأدب يختلف مفهومه من النّظرية الواقعيّة إلى النّظرية الماركسيّة إلى الوجوديّة وغيرها من النظريات الأخرى.

ونجد تودوروف يعترف بصعوبة تحديد مفهوم الأدب و ذلك بسبب تعدد مرجعياته حيث يقول: "والظاهر أن تحديد (أواختيار) مفهوم للأدب هو أمر صعب لأنّه يمثّل كيانا معقّدا

[1] – المرجع السابق، ص 47.

[2] – اميل بديع يعقوب: المعجم المفصل في مصطلحات اللغة العربية، جروس، بروس شارع جميل عدرة، باسل سنتر طرابلس لبنان ط1، 2012–، ص35.

متعدّد المرجعيّات و لكنّه مع ذلك يؤدّي عمله في ميدان العلاقات بين الأشخاص والعلاقات الإجتماعيّة..."[1]

مع ذلك ورغم أن الأدب يمثّل كيانا معقّدا فإنّه يؤدّي وظيفته، حيث يجعل الصلة وطيدة بين الأشخاص والعلاقات الإجتماعية وذلك بتأدية عمله بينهما.

ولا يكتفي تودوروف بنظرته للأدب بأنّه كيان معقد فحسب بل يرى أن الأدب نتاج لغوي لأنّ اللغة تنتج عبارات وفق قواعد النحو وانطلاقا من المفردات، فتصبح ذات أشكال متعددة أي أجناس أدبية متنوعة، ترتبط بأيديولوجيا المجتمع وعليه يمكن القول: "إنّ الأدب وسيلة مادَته اللغة، ووظيفته السمو بالإنسان فكرا وسلوكا، بتبنّي القيم الاسلاميّة والانسانية والإلتزام بالصّدق شرطا أساسيا في الكتابة عن قضايا المجتمع، فالأدب الذي يلتقي مع عناصر الفطرة منطلقا منها هو أدب يلتقي مع الإيمان له نهجه وأهدافه".[2]

وحسب التّعريف الأخير فالأدب بالإضافة إلى كونه نتاج لغوي يشترط كذلك أن يبنى على قيم مرتبطة بالّدين والفطرة مثل الصدق وربطه كذلك بأيديولوجيا المجتمع وهذا تودوروف يعرف الأدب في موضع آخر بقوله:"فالأدب هو وسيلة لاتخاذ موقف بالنسبة لقيم المجتمع، لنقل بكلمة أنه أيديولوجية، لقد كان كل أدب دوما الاثنين معا، فنَا وايديولوجيا..."[3]

فالأدب إذن مرتبط بالمجتمع من حيث أنّه وسيلة تربط العمل الأدبي كفن يقيم المجتمع كما أنه مرتبط ارتباطا وثيقا بالأيديولوجيا حسب تودوروف فكل أدب هو أيديولوجيا لأنهما حاضرين دوما معا فبالكاد ينفصلان عن بعضهما بإعتبار أن الأدب فن وايديولوجيا في الوقت نفسه.

---

[1] – حبيلة الشريف (القيم بين واقعية الفعل و سلطة المرجع مقاربة سوسيولوجية في الرواية العربية)، اسلامية المعرفة مجلة الفكر الاسلامي المعاصر عدد83–/2016 ماجد أبو غزالة، مركز معرفة الانسان للأبحاث والدراسات والنشر والتوزيع 2016 ص114 إلى 149.

[2] – المرجع نفسه، ص 122.

[3]– تزفيتان تودوروف، نقد النقد ترجمة:سامي سويدان، د:ليليان سويدان، دار الشؤون الثقافية بغداد ط2، 1986 ص 119.

ويرى "تودوروف" كذلك أنّ الأدب شأنه شأن العلوم الإنسانية كالفلسفة والعلوم الأخرى حيث يعرفه بقوله:"الأدب:مثلما الفلسفة، مثلما العلوم الإنسانية: هو فكر ومعرفة للعالم النّفسي والإجتماعي الذي يسكنه، والواقع الذي يطمع الأدب إلى فهمه هو، بكلّ بساطة..."[1].

فالأدب فكر كالفلسفة يعرفنا بالعالم النفسي والإجتماعي وفي الوقت ذاته يطمح إلى فهم الواقع وكشفه، فهو عند تودوروف جزء من العلوم الإنسانية التي تسعى وراء معرفة حقيقة الإنسان والواقع والمجتمع في الوقت نفسه.

أمّا المفكر الوجودي جون" بول سارتر" فهو يرى أنّ الأدب نوع من أنواع الفن مثل الرسم والموسيقى إلا أنه يفّرق بين الأدب والفنون الأخرى كون الأدب لا يساويها في الإلتزام، حيث أنّ هذه الفنون متناظرة إلاّ أنّ الأدب يتميز عنها بالإلتزام فهو فنّ لكنّه يختلف عنها في الشّكل والمادَة كذلك يقول سارتر:"وليست التفرقة بين الأدب والموسيقى، أن الأدب والرّسم تفرقة في الشّكل فحسب بل في المادّة أيضا، فعمل أساسه الألوان أو الأصوات غير عمل آخر مادَته الكلمات فليست الأنغام و الألوان والأشكال بعلامات ذات مدلول..."[2] فالأدب في رأي سارتر هو عمل أساسه الكلمات ويختلف عن الفنون الأخرى في الشّكل والمادَة لأنّه ذو مدلول أما الفنون الأخرى كالموسيقى والرَسم فذات مدلول ضئيل وغامض فهذا المعنى الضّئيل ينكر تلازم تمييز بين لونين مثلا التفاح الأخضر والتفاح الأحمر لا يستطيع الرسام أن يميز لنا بين ذوقيهما لكن الأديب يستطيع بينما الرسام كل ماعنده هو لون أخضر أو لون أحمر وكفى، إذن فالأديب قادر على تمييز الأذواق رغم اختلاف الألوان، لأن دلالة الكلمات أبلغ من دلالة الرسم[3]. فالأدب أقوى من

---

[1] -تزفيتان تودوروف، الأدب في خطر، ترجمة عبد الكبير الشرقاوي دارتوبقال.للنشر بلقيدر الدار البيضاء المغرب ط1، 2007، ص45.

2-جون بول سارتر: ما الأدب ترجمة: محمد غنيمي هلال دار النهضة مصر، الفجالة.القاهرة د ط، د ت ص 10.

[3] – المرجع نفسه، ص 10.

الفنون الأخرى لأنّه يستمدّ قوّته من الكلمات وقوّتها فهي الأقدر على توصيل المعنى من الفنون الأخرى.

2- مفهوم الأدب عند النقاد المعاصرين العرب:

الأدب في نظر النقاد الغربيين كما تقدّم هو فكر وفرع من العلوم الإنسانيّة وكذا هو نوع من أنواع الفنّ كالرّسم والنّحت والموسيقى كما يرى المفكر الوجودي "جون بول سارتر" إلا أنّه أرقى وذلك بما يتميّز به من قوّة الكلمات على خلاف الفنون الأخرى، فالوصف بالكتابة أبلغ من الوصف بالرسم.[1]

أمّا عن النقّاد العرب فقد اختلفت كذلك تعريفاتهم للأدب يقول "ابراهيم حمادة": "والأدب أنماط من السلوك اللغوي يقوم بها الإنسان للتعبير عمّا يريده، كما يسجّل أيضا ما يدور في مجتمعه، والأدب وثيق الصلة بالأيديولوجيات لشدَة تأثيره على جمهور القرَاء"[2]

الأدب إذن أنماط من السلوك اللّغوي يستعمله الإنسان لغاية التّعبير عن ما يدور بنفسه وما يدور بمجتمعه ومع ذلك له علاقة قويّة بالأيديولوجيا وهذا ما يجعله شديد التأثير على جمهور القرَاء فحسب ابراهيم حمادة فالأدب نتاج لغوي ينقل ما يجري في المجتمع ينتجه الإنسان، ليترجم أفكاره ويعبر عنها ويصور للقارئ ما يفكر فيه وذلك قصد التأثير عليه والإمتثال لأفكاره وتصوّراته وهو تصوير للعقل والشعور والإحساس وهذا على حدّ تعريف أحمد الشّايب بقوله:" إنّه الكلام الذي يصوّر العقل والشعور تصويرا صادقا".[3]

وهذا التعريف الأخير يبين لنا أن الأدب ما صوَر ووصف عقل الإنسان وأفكاره ومشاعره بطريقة صادقة ولعلّ هذا ما يؤدي بنا إلى المفهوم الحقيقي للأدب في هذا العصر لأن الأدب بغضّ النّظر على كل ما سبق هو تصوير للعقل وللمشاعر حقيقة ومع أنّ الأدب هو تصوير للعقل والمشاعر، فقد جمع كل الظّواهر والأشياء المحيطة بالإنسان من علاقات وأفكار وتخيلات وأحاسيس فهذه هي موادّه الأساسيّة التي يجمعها الأديب ثم

---

[1]- المرجع السابق، ص 10، 11.

[2]- ابراهيم حمادة مقالات في النقد الأدبي، دار المعارف مصر، دط، 1982، ص157.

[3]- أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي مكتبة النهضة المصرية القاهرة، ط1994/10 ص 31.

يستعمل اللّغة لينقل كل هذه الظّواهر بواسطة كلمات وهذا على حد قول "مصطفى عبد الغني": "الأدب نقل اللغة للعالم:عالم الأشياء والناس والعلاقات والأفكار والتخيّلات والمشاعر والأحاسيس، وتداخلاتها وتولّداتها وضلالها... وفي الأدب تتحوّل كلّ هذه الظواهر البالغة التشكيل والمتفاعلة ماديّة كانت أو معنويّة إلى كلمات..."[1]

ألا تترجم كل الظواهر السابقة واقع الإنسان الحقيقي الذي يعيشه ويشاركه أفراد آخرون في المحيط نفسه، يجمعهم واقع واحد وزمان واحد وأعمال واحدة وأفكار واحدة، أليس هذا ما يعرف بالأدب الواقعي الذي ينقل لنا واقع الإنسان كما هو:" ولا يستثنى ذلك من الأدب الواقعي بل ربما كان هو الأجدر بهذه الفضيلة، من حيث اتخاذ الواقع الإنساني بكلّ تجليّاته وفي كلّ أحوال تجسيد الوجود الإنساني والفعالية الإنسانية مادَة له ومصدر لإلهامه".[2]

فالأدب حسب مصطفى عبد الغني مادَته الأولى هي اللغة والواقع الانساني ثم بعد ذلك يأتي دور المؤلف ليكتب حسب أفكاره وحسب ما يراه مناسبا.

3- وظيفة الأدب:

من خلال التعريفات المتقدّمة للأدب فإنّ الأدب يحمل بين طيّاته رسالة يكشف من خلالها الأديب عن حقيقة الإنسان كما هي واقعة فهو الصّورة والمرآة العاكسة التي تعكس حياة البشر الإجتماعية والنفسيّة والتاريخيّة، وكلّ ما يتعلّق به منذ وجوده وهذا ما كان معروفا عن الأدب منذ القديم.

وإذا ما رجعنا إلى وظيفة الأدب أو بالأحرى وظائفه فإنه من يرى" أن الأدب محايد يلقي الضّوء على كل زاوية وكل ركن من أركان الحياة، مثله في ذلك كمثل الشّمس التي تشرق عن الأشياء بغير تمييز، وعلى هذا الأساس من الفهم يكون الأديب الحقّ هو الذي يفتح أعيننا على منابع الفضيلة والرذيلة في أنفسنا وهو بهذا وإنّما يفعل خيرا بأكمل

[1] – مصطفى عبد الغني:اتجاهات النقد الروائي المعاصر عاصمة النشر مصر و سوريا د ط، 2012، ج1، ص 274.

[2] – المرجع نفسه ص 274.

معاني هذه الكلمة لأن مجرّد وعي الإنسان بما هو حق، هو في حد ذاته خبر وعلى الأخصّ إذا نتج عن هذا الوعي تطوير لشخصه وتعميق لإدراكه وتسديدا لخطأه".[1]

إذن فالأدب كالشّمس التي تشرق على جميع الأشياء دون تمييز، وهكذا يكون الأديب قدوة في توجيه الناس، ودعوتهم إلى الفضيلة والأخلاق وفي هذا تتجلّى أول وظائف الأدب إذا ما قارنّاه بالتعاريف السابقة والأدب قبل أن يكون فنَا وإبداعا هو بالدرجة الأولى نتاج اجتماعي، فالعلاقة بين الأدب والمجتمع علاقة وطيدة الصلة والأدب تصوير للمجتمع كما هو الشّائع، وتصوير لحياة الإنسان على وجه الخصوص وترجمة لعلاقته مع الطبيعة والكون، فإذا كان الأدب لا يصوّر ما يربط الانسان بمجتمعه، فماذا سينقل إذا من المستبعد عزل الأدب عن المجتمع كما أنه من المستبعد عزل الانسان عن مجتمعه، يقول:"الذهبي اليوسفي" في هذا الصدد" الأدب مؤسسة اجتماعية، وعزله عن التأثيرات الاجتماعية والفكرية المباشرة أمر غير ممكن ويعود ذلك إلى أن: الفنّ عموما هو في جميع المراحل التي قطعها كان ولا يزال وطيد الصّلة بالمجتمع لأنه أولا نوع من النّشاط الاجتماعي..."[2] فالأدب إذا مؤسسة اجتماعية [3] ووصفه بمؤسسة دليل على أنه يحتوي على كل ما يخص حياة الانسان الاجتماعية، وعزله عن التأثيرات الاجتماعية أمر مستحيل، فالأدب جزء من الفنّ والفنّ صلته بالمجتمع قويّة فهو نوع من النشاط الإجتماعي والعلاقة بين الأدب والمجتمع مبنية على التفاعل مع الواقع وهذا ما يجعل الأديب ناجحا في عمله الإبداعي ولئن كان من العادة أن نقول عن الأدب أو نصفه بأنّه المرآة العاكسة، فماذا ستعكس هذه المرآة غير واقع المجتمع أو واقع الإنسان في مجتمعه،

[1] – محمد زكي العمشاوي، دراسات في النقد الأدبي المعاصر دار الشروق القاهرة ط1، 1994، ص 165 و ص 166.

[2] – د.الذهبي اليوسفي، الأدب و الأيديولوجيا في النقد العربي الحديث الدار المتوسطية للنشر الجمهورية التونسية ط 1، 2016 ص 291.

[3] – ويليك(رينيه) و واين (اوستين) نظرية الأدب ترجمة محي الدين صبحي و مراجعة حسام الخطيب بيروت المؤسسة العربية للدراسات و النشر د ط، 1987 ص 97.

ومن خلال الكلام على أنّ الأدب يعكس ويصور واقع المجتمعات وجب علينا أن نعرّج إلى مفهوم الإنعكاس أو ما اصطلح عليه النقاد بـــ " استعارة المرآة ".[1]

وإذا عدنا إلى مصطلح "استعارة المرآة" أو "صورة المرآة" من أكثر المصطلحات شيوعا في العصر الحديث وخاصّة في مجال الرواية [2] " فقد ظهرت في لغة النقد الأدبي الحديث مجموعة من الاستعارات التي تؤكد العلاقة التمثيليّة (الأدب والمجتمع) مثل"تمثيل" "صورة"، "انعكاس"، "مرآة"... وتتعدّد سياقات اقتران تشبيه الأدب بـــ"المرآة" بحسب النظريات النقدية التي يجري فيها هذا التشبيه... فالمحك كله هو التوظيف الدّلالي للتّشبيه من حيث تحديد لذلك الشيء المغاير الذي تعكسه مرآة الأدب..."[3]

وعليه ومن خلال ما تقدم فإن وظيفة الأدب من علاقته بالمجتمع تكمن في التّصوير أي تصوير المجتمع وخاصة في مجال الرواية فلقد شبّه الأدب بالمرآة لأنه يعكس لنا واقع المجتمع، فإذا ما تطرقنا إلى أي رواية من الروايات سنجد هذا التصوير جليا للمجتمع .

من حيث أن هذا المجتمع مجموعة من الأفراد تربطهم روابط ومصالح اجتماعية والأدب بدوره ينقل ويصور هذه العلاقات كنقل حياة الناس من حيث هي سعيدة أو تعيسة، وكذا تصوير حالاتهم كغناهم وفقرهم وأعمالهم وكلامهم وكل معاملاتهم اليومية.

ولعلّ التّركيز على فكرة علاقة الأدب بالمجتمع يقودنا أو يسهل الخوض في علاقة الأدب بالأيديولوجيا كون الأيديولوجيا كذلك لها علاقة وطيدة بالمجتمع بإعتبارها شكلا للوعي الاجتماعي فهي سلاح عقائدي تتسلّح به الطّبقات الاجتماعية وتصوير للعالم تقوده الانسان إلى التفكير في مستقبله.

ولكن عند بعض النقّاد الآخرين أمثال "تودوروف" وظيفة الأدب لا تتوقف عند تصوير المجتمع فقط بل تتعدّى ذلك إلى بعث الحياة فينا ومساعدتنا على فهم العالم – فالأدب– يجعلنا نستطيع كشف ما حولنا، ويوجّهنا دوما نحو الأفضل ويجعلنا قادرين على

---

[1] –هي جهاز مصطلحي في مجال النقد المعاصر و علاقة الأدب الاجتماعية.

[2] –راغب، موسوعة النظريات 324، ضمن مجلة فصول م 1، ع 2، يناير 1981 ص 78.

[3] –الذهبي اليوسفي:المرجع السابق، ص 294.

الحياة يقول تودوروف :" الأدب يستطيع الكثير، يستطيع أن يمد لنا اليد حين نكون في أعماق الإكتئاب، ويقودنا نحو الكائنات البشرية الأخرى من حولنا، ويجعلنا أفضل فهما للعالم ويعيننا على أن نحيا، ليس ذلك لكونه قبل كل شيء تقنية لعلاج الروح، غير أنه، وهو كاشف للعالم، يستطيع أيضا، في نفس المسار أن يحوّل كلّ واحد منّا من الداخل، للأدب دور حيوي يلعبه، لكنه ليكون كذلك ينبغي أخذه بهذا المعنى الواسع والقويّ..."[1]

قد جمع تودوروف في هذا القول وظائف الأدب التي تعتبر كثيرة ولا تقتصر على النقل والتصوير بل للأدب وظائف حيوية يشترط لفهمها أن نأخذ الأدب بمعناه الواسع والقوي ونحدد وظائفه فهويعمل على تغيير الإنسان وينزعه عنه القلق والإكتئاب ويكشف له العالم من حوله ويساعده على الحياة وكشف أسرار العالم ويبعد عنه الغموض فالأدب هو الذي يثير حياة الإنسان من جوانب عديدة لا يستطيع الإنسان العادي أن يعرفها إلا إذا عرف حقيقة وقيمة الأدب.

ثانيا- الأيديولوجيا المصطلح والمفهوم:

إذا ما تطرقنا إلى تحديد مفهوم مصطلح " الأيديولوجيا" لا بدّ من الإشارة أولا إلى تعدّد مفاهيم هذا المصطلح وتعريفاته وذلك لتعدد مظاهره وعلاقته القويّة بالعلوم الانسانية الأخرى مثل علم الاجتماع وعلم النفس والفلسفة وغيرها فمن الصّعب تحديد مفهوم واحد للأيديولوجيا، لأن مدلوله واسع واستعمالاته متنوّعة، وقد كانت هذه الصعوبة جرّاء التشابك المفهومي والإهتمام المتعدد بهذا المصطلح لأنّه يُعدّ ذا منظور بارز ولإرتباطه الوثيق بأنساق فكرية متعدّدة مثل اللغة والفلسفة و الدين.[2]

تتشكل الأيديولوجيا لغويا من الكلمتين اللاتينيتين "idéo" بمعنى "فكر"و "logie"بمعنى "علم" وتعني حسب التّرجمة العربية علم الأفكار، ويعود نحت هذا

[1] -تودوروف تزفيتان، الأدب في خطر، ص 45.

[2]- محي الدين أبو شقرا، مدخل إلى سوسيولوجيا الأدب العربي، الدار **البيضاء** المغرب ط 1، 2005 ،ص 76.

المصطلح أو التركيب إلى المفكر الفرنسي: " دستوت دي تراسيDestutt de tiracy " سنة 1817.[1]

إذن فالأيديولوجيا رغم ما يعتريها من غموض فهي حسب المفكر الفرنسي"دستوت" تعني علم الأفكار، ولكن من يرى أنها مازالت لم تبلغ مرتبة علم قائم بذاته، بل هي فضلة من فضلات العلوم الانسانية حسب تفكير المفكر الفرنسي ".ف.دومون"[2] F.Dumont

وكما تقدّم في المباحث السّابقة وإن اختلفت مفاهيم الأدب فكذلك اختلفت مفاهيم الأيديولوجيا، بيد أنّ مفاهيم الأدب تصبّ في مصبّ واحد في معظمها، إلا أنّ مفاهيم الأيديولوجيا اختلفت بإختلاف نظرة أصحاب المذاهب والفلاسفة إليها فقد تباينت مفاهيمها بين الماركسية والرّأس مالية والماركسيّة الجديدة وفيما يلي طرح بعض من تلك المفاهيم:

في المعجم الفلسفي يعرّف مصطلح الأيديولوجية Ideology بأنه:" منهج في التفكبر مبني على الافتراضات المرتّبة والمعتقدات وتفسيرات الحركات أو السياسات الاجتماعية، وقد يكون محتواه دينياّ أو اقتصادياّ أو سياسياّ أو فلسفيّا، وبعض الأيديولوجيات مثل الشيوعيّة والاشتراكيّة تنسب إلى نظم اقتصاديّة وسياسيّة ".[3]

حسب المعجم الفلسفي تعتبر الأيديولوجيا منهج في التفكير ينسب حسب تعدد النّظم سواء أكانت سياسية أو اقتصادية وكذا قد يكون محتوى هذا المنهج ديني فهو مرتبط بالدّرجة الأولى بالعقيدة وكذا بالإقتصاد والفلسفة والسّياسة وذلك حسب حاجة هذه المذاهب والإتجاهات والنّظم إليه والتي يكون حاضرا فيها ومرتبطا بها على الدّوام.

1- الأيديولوجيا حسب المفاهيم الماركسية:

إختلفت مفاهيم الأيديولوجيا عند الماركسيين حسب نظرة كل مفكر منهم، فمنهم من يرى أنّها شكل للوعي، ومنهم من يرى أنّها مجموعة من الأفكار المرتبطة بالطبقة

[1]- أحمد حمدي، جذور الخطاب الأيديولوجي الجزائري، دار القصبة للنشر، دت، 2001، ص 27.

[2]- المرجع نفسه ص 28.

[3]- مصطفى حسبية، المعجم الفلسفي دار أسامة للنشر، عمان ط 1 2009 ص 106، 107.

الحاكمة، ومنهم من يحدّدها بأنّها ذات طبيعة وهميّة، وكذلك من يرى أنها سلاح عقائدي وغيرها...

وهذا "كارل ماركس" يعرّف الأيديولوجيا بقوله: "إنّ أفكار الطبقة السائدة هي في كل عصر الأفكار السائدة، فالطبقة التي تمتلك القوة المادّية هي في الوقت ذاته القوة الفكريّة السّائدة في المجتمع، حيث تشرف على وسائط الإنتاج الفكري، وأن أولئك الذين يفتقرون إلى وسائط الإنتاج الذّهني يخضعون لهذه الطبقة السائدة ".[1]

إنّ "كارل ماركس" يربط القوّة المادية بالقوّة الفكريّة إذ الطبقة التي تعتبر قوية مادّيا هي الطبقة القادرة على إنتاج أفكار قويّة، فهي تملك السلطة على الّذين لا يملكون وسائل إنتاج قوية فتعريف ماركس للأيديولوجيا يندرج ضمن ما نسميه بالبنية الفوقيّة. [2]

أمّا بالنّسبة "للوسيان غولدمان" الّذي دعا إلى التّأكيد على مبدأين وهما:- العلاقة الموجودة بين الفكر والواقع والفكر وموقعه الطبقي في المجتمع حيث رفض عزل النّص وجعله يحمل رؤية للعالم[3] ومن خلال ذلك فإنه يعرّف الأيديولوجيا ويعتبرها:" رؤية جزئية غير كلّية ومملوءة بوهم كونها مركز حقيقة العالم "[4]

إن" لوسيان غولدمان" يربط بين الواقع الفكري والواقع الإجتماعي وكانت نظرته للأيديولوجيا مختلفة عن كارل ماركس حيث يرى أن الأيديولوجيا هي مركز حقيقة العالم ولم ينظر إليها من منظور الطبقية فقط، بل أراد أن يلبس الأيديولوجيا ثوبا جديدا من خلال دمجها برؤية العالم أو أن يجعلهما تحملان نفس المعنى تقريبا إلا أنّ الأيديولوجيا في رأيه تمثّل رؤية جزئية فقط.

---

[1] -كارل ماركس، فردريك أنجلز:الأيديولوجيا الألمانية ترجمة:فؤاد أيوب، مصادر الاشتراكية العلمية، دار دمشق، دمشق، سوريا ط 1، 1976 ص 56.

[2]-أحمد حمدي، جذور الخطاب الأيديولوجي الجزائري ص 29.

[3] -عموري السعيد:(الأيديولوجيا، الخطاب، النص – نحو مقاربة مفاهيمية) مجلة الأثر العدد الثامن عشر، جوان 2013- ص 140.

[4]- المرجع نفسه ص 140.

وعند الماركسيين الجدد أمثال لوي ألتوسيرL.Alhusser يعرف الأيديولوجيا بقوله:"نسق من التمثيلات، صور وأساطير، أفكار ومفاهيم بحسب الأحوال – يتسم بوجود دور تاريخي داخل مجتمع ما، وهي تتميّز عن العلم بكون وظيفتها الاجتماعية تتغلّب على وظيفتها النّظرية، أي كأداة للمعرفة".[1]

من خلال هذا التعريف يتّضح أنّ الأيديولوجيا هي مجموعة من الرّموز والمعارف وكذا صور وأساطير مع استحضار دور التّاريخ فهي إذن تصوير لمجتمع ما من جميع الجوانب فوظيفتها بالدّرجة الأولى علميّة بغضّ النّظر عن وظيفتها النّظرية، فلها أجهزتها التي تفعّلها لتصل بها إلى إنتاج فكر يدمج مع التاريخ والماضي في تصور المستقبل.

2- الأيديولوجيا حسب المفاهيم الرأسمالية:

حاول مفكروا الغرب ولاسيما الرّأسماليين منهم تحديد مفاهيم للأيديولوجيا حسب نظرتهم الفكرية، فتمخّض على غرار تلك المحاولات تعدّد مفاهيم الأيديولوجيا ولكن حسب نظرتهم تبقى متفرعة عن أصول مواقع فلسفية، وقد بقيت محاولاتهم مستمرّة لإعطاء إجابة كاملة لتساؤلات فلسفية، عن مفهوم الأيديولوجيا.

نجد المفكّر الفرنسي "ريمون أرون" يعرّفها بأنّها:" منظومة لتفسير العالم الإجتماعي، تنطوي على نظام من القيم المقبولة، وتقترح إصلاحات ينبغي انجازها وانقلابا يخشاه الناس أو يأملونه".[2]

فالأيديولوجيا في رأي "ريمون" تمثّل منظومة تسعى لتفسير العالم لكنّه يخصّ العالم الاجتماعي وهذا ما يثبت قوّة العلاقة بين الأيديولوجيا والمجتمع، وهي في الوقت نفسه تضمّ مجموعة من القيم وتهدف إلى إصلاحات ترمي بها إلى المستقبل، ينتظرها الناس

[1] –أحمد حمدي، المرجع السابق، ص38.

[2] –نفسه، ص 34.

فيخشونها أو يتأمّلونها ويعرّفها عالم الاجتماع الأمريكي "كارل مانهايم": "بأنّها البناء الفكري لعصر أو جماعة أو حقبة تاريخية معيّنة".[1]

إنّ ما نلتمسه من تعريف "مانهايم" وتعبيره عن الأيديولوجيا بأنّها بناء فكري مرتبط بعصر أو جماعة وعليه فالأيديولوجيا عند الرأسماليين ترتبط بالوضع الاجتماعي وتوجّهاته نحو الماضي مع تطلّعاته إلى المستقبل وذلك باستحضار التّاريخ أو ما يعدّ تاريخا فهي جزء من التّاريخ لكنّها تقترح تغييرا أو بالأحرى ما يسمى انقلابا لما يتطلع إليه النّاس نحو المستقبل وهكذا إذا وجدوا فيه نفعهم ويخشونه إذا كان ضدهم وبذلك تبقى الأيديولوجيا تصوّرا لأوضاعهم سواء أكان إيجابا أو سلبا.

3- مفهوم الأيديولوجيا عند المفكّرين والنقّاد العرب:

فيما يخصّ المفكرين العرب نبدأ بالمفكّر والناقد المغربي عبد الله العروي الذي يسميها أدلوجة أو أدلوجياء وذلك حين " نقول إن فلانا ينظر إلى الأشياء نظرة أدلوجيّة، تعني أنه يتخير الأشياء ويؤول الوقائع بكيفيّة تظهرها دائما مطابقة لما يعتقد انه الحق "[2]

فالأيديولوجيا عنده تبدأ بالنظر إلى الأشياء ومطابقتها لما يتوافق مع الحقّ فهو يرى أن الأدلوجة :" رؤية كونية تحتوي على مجموعة من المقولات والأحكام حول الكون، تستعمل في اجتماعات الثقافة لإدراك دور من أدوار التاريخ، وتقود إلى فكر يحكم على كل ظاهرة إنسانية بالرّجوع إلى التّاريخ كقصد يتحقق عبر الزمن ".[3]

إذن فالأيديولوجيا حسب عبد الله العروي هي رؤية كونية تحكم على الظواهر الإنسانية بالرجوع إلى التاريخ، حيث تستعمل التاريخ كوسيلة للتفكير أو التخطيط للمستقبل وهذا ما يتحقق عبر الزمن حسب كلامه، فهي تستعمل في اجتماعات الثقافة لتستحضر

[1] -نبيل السمالوطي، التوجيه الإسلامي و صراع المنطقات و النظريات في علم الاجتماع دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996، ص 7.

[2] - عبد الله العروي، مفهوم الأيديولوجيا المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب ط8، 2012 ص 10.

[3] - المرجع نفسه ص 14.

دور التاريخ لتقود إلى الفكر الذي من خلاله يكون الاستعداد إلى المستقبل أي بالنظر في التاريخ حتى يتسنّى التفكير في القادم من الزمن.

وهذا "نصيف نصار" يذهب إلى أنّ الأيديولوجيا " نظام من أفكار اجتماعيّة يرتبط بمصلحة جماعية معينة، ويشكّل أساسها لتحديد أو تبرير فاعليتها الاجتماعية في المرحلة التّاريخية المعينة".[1]

فهي حسب رأيه نظام أي مجموعة من القضايا المترابطة والمفاهيم المتصلة بمصلحة جماعة ما، والتي تتشكّل من مرحلة تاريخية معيّنة، فهي تتشكل حسب ممارستها بفاعلية الجماعة وما هي إلا تعبير من تعابير الجماعة.

ويعرّفها "سعد الدين ابراهيم" فيقول:" إنّ الأيديولوجيا هي نوع من الهندسة الفكرية للتعبئة الاجتماعية والسياسية، لأن كلّ أيديولوجيا تختار متغيّرا حاكما تفسر به الواقع وتتبنى في الوقت نفسه الصياغة المستقبلية لما ينبغي أن يكون عليه هذا الواقع سيّان لديها إن كان هذا المتغيّر الحاكم هو الطبقة أو الدّين أو العنصر، بمعنى الجنس أو القومية".[2]

فالأيديولوجيا حسب "سعد الدين إبراهيم" تعمل على انتقاء المتغيرات التي تفسّر بها الواقع فهو يحمّلها معنى علمي رياضي على أنّها هندسة فكريّة، للمجالين الاجتماعي والسياسي، حيث تتوجه بهذا الواقع نحو المستقبل سواء أكان مرتبطا بالدين أو الطبقة أو الجنس أو القوميّة أما زكي نجيب فيرى أنّ كلمة أيديولوجيا " دخيلة على اللغة العربية وهي مؤلفة من جزأين ideo ومعناها فكرة و logic ومعناها علم ومن هنا جاء معناها الّذي هو علم الأفكار... ولو أردنا أن نختار لها اسما في اللغة العربية لوقع اختيارنا على كلمة مذهبية".[3]

---

[1] –عبد الرحمن خليفة/ فضل الله محمد اسماعيل، المدخل في الأيديولوجيا و الحضارة، مكتبة بستان المعرفة الاسكندرية دط 2006 ص 48.

[2] –المرجع نفسه، ص 44.

[3] – زكي نجيب محمود، (الأيديولوجيا ومكانها من الحياة الثقافية) مجلة فصول عدد 4، 1985 الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1985 ص 28/27.

فزكي نجيب يوافق" دي تراسي" بأنّ الأيديولوجيا تعني علم الأفكار إلا أنّه يرى أننا حيث نختار لها اسما عربيا فالاسم الأنسب هو "مذهبية" ويبرّر رأيه باستحضار استخدام "الفارابي" لهذه الكلمة بهذا المعنى حيث يستخدم كلمة "الملّة" وهي مجموع الأفكار والمعتقدات التي تلتفّ حولها فئة معيّنة من الناس.

من خلال ما سبق وعلى ضوء التعريفات والمفاهيم السابقة للأيديولوجيا وعلى اختلاف المرجعيات والفلسفات التي تستند إليها وباختلاف النظريات التي تستعملها فإننا نتوصل إلى ما يلي:

- حسب المفاهيم الماركسية: الأيديولوجيا متداخلة والوعي الأيديولوجي عندهم يميّزونه بستّة أشكال وهي:- الوعي السياسي، الوعي الحقوقي، الوعي الأخلاقي، الوعي الديني، الوعي الجمالي، الوعي الفلسفي.[1]

فهي تارة تقييم للظواهر الاجتماعية وتارة تحقق القيم المقبولة وتارة هي تصور للعالم وقوانينه وتارة تتحكم في البرامج السياسية وتعتبرها جزءا منها وبذلك يبدو واضحا هذا التداخل الذي يعتبر إحدى الخاصيات التي تميز العلوم الاجتماعية.

- حسب المفاهيم الرأسمالية: فالأيديولوجيا منظومة تسعى لتفسير العالم الاجتماعي فهي بناء فكري مرتبط بعصر أو جماعة قويّ الصلة بالوضع الاجتماعي وتوجهاته نحو الماضي مع تطلعاته إلى المستقبل.
- أمّا حسب المفكّرين والنقاد العرب فهي رؤية كونية تحكم على الظواهر الإنسانية بالرّجوع إلى التّاريخ أو هي مجموعة من القضايا المترابطة والمفاهيم المتصلة بمصلحة جماعية معينة والتي تتشكل من مرحلة تاريخية معينة.

وعليه ومن خلال المفاهيم السابقة فالأيديولوجيا هي العلم الذي يدرس الأفكار سواء أتعلق الأمر بالأفكار التي تتصوّر العالم أو الأفكار التي تحاول تفسيره في كل المجالات السياسية والدينية والجمالية والفلسفية أو الأخلاقيّة والتي تمثّل مجموعة من الناس يتشاركون نفس العادات والتقاليد والقيم.

[1]- أحمد حمدي، مرجع سبق ذكره، ص 33.

ثالثا- الأدب والأيديولوجيا:

تعتبر الأيديولوجيا في كل عصر مرجعا للأدب يستند إليها حيث تمكّنه من تحقيق ذاته في حين يمكّنها الأدب من الاتصال بالمجتمع وأفراده فهي كشكل من أشكال المعرفة تصحيح لآراء وأفكار المجتمع، وتحويل لأفكارهم وتزكيتها بفرض سيطرتها واختيار ما يوافقها.

فالأيديولوجيا جزء من المعنى الذي يكون حاضرا في كل نوع من أنواع الخطاب، وهي في الوقت ذاته تصوير أو تصور للعالم ومنظومة من الآراء التي تمثل جزءا من التاريخ حيث تفسر سلوكيّات النّاس واتجاهاتهم و في المقابل نجد الأدب تصويرا للمجتمع، وحسب رأي "عمار بلحسن"[1] فالعلاقة بين الأدب والأيديولوجيا معقدة وثريّة في آن واحد وصعبة على المستوى المنهجي والنّظري إذ نلمس بعض الاختلاف عند الحديث عن الأدب والأيديولوجيا فما العلاقة والرّابط الذي يجمعهما، ويجعل الأيديولوجيا حاضرة في الأدب؟ تحقّق حضور الأيديولوجيا في الخطاب الأدبي يكمن في النّصوص المنتجة في فترة تاريخيّة معينة، وإذا كانت هذه النصوص نتاجا لغويا، فالأيديولوجيا كذلك نتاج لغوي، وللحديث عن علاقة الأدب بالأيديولوجيا نستحضر العلاقة بين الأيديولوجيا واللّغة، فأهميّة اللّغة بالنسبة للأيديولوجيا تتّضح في كونها:"الأداة الأساسية المستخدمة في نقل وإيصال الأفكار وتفسيرها وتعليل أغراضها ومراميها" وهذا ما يؤكده "ميشال فوكو" حيث يبيّن أنّ " الخطاب يحمل أيديولوجيا ما يفرضها، وكلّ أيديولوجيا تجد خطابها، ذلك أن الأنساق الدالة ونماذج البلاغة والأسلوبية تتضمّن كلا منها أيديولوجيا وتصورا للعالم، وموقفا اجتماعيا، فكل محتوى أيديولوجي يجد شكله ولغته وبلاغته الخاصة به إذ أصبح لكل تحول اجتماعي تحولا في بلاغته حتى كاد أن يكون قانونا موضوعيا".[2]

---

[1] -عمار بلحسن الأدب و الأيديولوجيا، المكتبة الشعبية، المؤسسة الوطنية للكتاب شارع العربي بن مهيدي – الجزائر- دط، 1984 ص 71.

[2] -جوليا كرستيفا: (الممارسة اللغوية) مجلة بيت الحكمة، العدد 05، السنة02 أبريل 1987 ص 157.

ولكلّ أيديولوجيا لغتها الخاصة ومفاهيمها المتميّزة وهنا تلتقي الأيديولوجيا والأدب فهما وجهان لعملة واحدة هي اللغة، حيث النّصوص التي تنتجها الأيديولوجيا نتاج لغوي، والأدب كذلك نتاج لغوي، وهذا ماعبر عنه كمال أبو ديب بقوله: " فالأدب فعل لغوي حين ندرك هذه الحقيقة البسيطة نبدأ في استقراء منطوياتها، ندرك بشكل حاسم أن الأدب فعل في فضاء أيديولوجي، بل ندرك أهم من ذلك بكثير، لأن الأدب على وجه الخصوص فعل لغوي فهو في الآن نفسه أيديولوجي".[1]

وعليه فالأدب فعل لغوي و في الآن نفسه فعل أيديولوجي حيث يقودنا ذلك إلى أنّ ما يختاره الأديب لإنتاج نصّ في فضاء اللّغة وما يستحضره من فضاء اجتماعي هو ممارسة أيديولوجيّة، وكذلك فعند إنتاج نص ما يضمّنه الأديب تصوراته الأيديولوجية التي تعبر عن رؤية العالم.

رابعا- علاقة الأدب بالأيديولوجيا حسب النظرية الواقعية النقدية، والفلسفة المادية الجدلية والبنيوية التكوينية:

فيما تقدم اتّضح أنّ علاقة الأدب بالأيديولوجيا تكمن في الفعل اللغوي الذي يربط بينهما على حد رأي "ميشال فوكو" "وكمال أبو ديب"، ولكن إذا ما تطرّقنا إلى عرض آراء أخرى نجد علاقة الأدب بالأيديولوجيا متشعّبة وكثيرة، فحسب "الذهبي اليوسفي" فإنّ البحث في هذه العلاقة عند الانطلاق من مدوّنة نقديّة محدّدة بالرجوع إلى مناهج البحث المعتمدة والمتمثلة في:

1- الواقعيّة النقدية:

وتتلخّص نظرة هذه النظرية في تجاوز مقولة " الفن للفن " وترى أن وظيفة الأدب غير محصورة في الفنية والجمالية فحسب، فقد أصبح الأدب يعبّر عن الواقع الاجتماعي، وإذا كانت الأيديولوجيا هي شكل للوعي الاجتماعي فهي كذلك تعالج المجتمع إذ يمكننا

[1] -كمال أبو ديب: (الأدب و الأيديولوجيا)، دراسة منشورة في مجلة فصول، مجلة النقد الأدبي، الهيئة المصرية للكتاب، عدد 04 الجزء 02، 1985 ص 54.

اعتبار الأدب والأيديولوجيا يلتقيان في النقطة نفسها، وعليه فإن وظيفتهما إن لم نقل واحدة فهي متقاربة.[1]

2- الفلسفة الماديّة الجدلية:

وحسب الفلسفة المادية الجدلية فقد انطلقوا من فكرة " أن الأدب خطاب له خصوصيته وليس مجرد بنية أو هيكل أو صياغة خاصة... وإنّما هو بنية هيكل أو صياغة دالة وبالتالي غير معزول عن معطيات أخرى... فهو بنية داخل أبنية أكبر، ولحظة داخل سياق زمني وتاريخي، ومعلول الملابسات نشأته النفسية والتاريخية والثقافية، ... فهذه البنية أو الصياغة هي التي تشكل أو تهيكل أدبيته من ناحية وتُبرزُ دلالته الفاعلة من جهة أخرى... وهناك في كل عمل أدبي هذه العلاقة الجدلية النشطة الفعالة بين الصياغة والمضمون "[2] فالمعطيات الأخرى التي تحضر في صياغة مضمون هذا النص تتمثل في السياقات الخارجية النفسية والتاريخية والثقافية والاجتماعية وبهذا تتضح علاقة الأدب بالأيديولوجيا ماديّة جدليّة.

3-البنيوية التكوينيّة:

تتمثل نظرة البنيوية التكوينية في دراسة علاقة الأدب (الرّواية) بالواقع الاجتماعي، وهنا تجدر الإشارة إلى حضور الأدب – ومنه الرواية – في إطار التعامل مع ما حدث للمجتمعات مثل المجتمع المصري خلال السبعينات مع المتغيرات التي طرأت عليه اقتصاديا وسياسيا وأيديولوجيا، وهذه هي النظرة التي تجعل من الأدب رؤية جدلية وتجعله قادرا على فهم الواقع والتعبير عنه عبر وعي الكاتب وانتماءاته الاجتماعية.[3]

لقد تبين ما الجامع بين هذه النظريّات الثلاثة وهو وظيفة الأدب الاجتماعية، لأن الأدب لا ينحصر في كونه نتاجا لغويا فحسب وإنما في علاقته بالمجتمع في علاقته

[1] -الذهبي اليوسفي، الأدب و الأيديولوجيا في النقد العربي الحديث، ص 131.

[2] -محمود أمين، ثلاثية الرّفض و الهزيمة دار المستقبل العربي القاهرة ط1 1985 ص 22 و ص 23.

[3] -الذهبي اليوسفي، مرجع سبق ذكره ص 230.

بالسياسة وبالتاريخ والواقع كذلك، فإذا كانت علاقة الأدب تظهر مع العلوم الإنسانية السالفة الذكر فإن ذلك يقودنا إلى علاقة الأدب بالأيديولوجيا مباشرة لأن الأيديولوجيا لها علاقة بهذه العلوم بقدر ما للأدب علاقة بها.

4- الكتابة وبعدها السلطوي:

من خلال ما تقدم سابقا اتّضح أن الأدب والأيديولوجيا يستندان في علاقتهما إلى الفعل اللغوي وإلى الواقع الاجتماعي فكلاهما وجهان لعملة واحدة إلا أنّه بقي أمر آخر وهو الكتابة وسلطتها وما تفرضه على القارئ وذلك على حدّ قول "علي حرب": "ونحن نكوّن سلطة عبر نصوصنا وخطاباتنا وهذه السلطة تمارس في النهاية على من يوجه إليه الخطاب أي على القارئ، فالسلطة كما بات معروفا لا تقتصر على الميدان السياسي، فلكل مجال سلطته، هناك السلطة السياسية، وهناك السلطة الدينية، وهناك السلطة المعرفية خذ الشعراء والكتاب هل تعتقد بأنهم يتنافسون أو يتصارعون حبّا في المعرفة أو حرصا على الحقيقة، من السذاجة الاعتقاد بذلك لا شك أن هذه المعارك تشكل صراعا بين وجهات نظر أو بين منظومات تأويليّة مختلفة ولكنّ إغفال الجانب السلطوي هو طمس لحقيقتها".[1]

إذن فالنص الأدبي حين يكتبه صاحبه يحمّله سلطة معرفية يجب أن يخضع لها القارئ فالشعراء والأدباء بصفة عامة لا يتنافسون من أجل حب المعرفة أو الوصول إلى الحقيقة وإنما من أجل وجهات نظر لا يمكننا أبعاد الجانب السلطوي فيها، وبما أن الأدب لديه الأثر الكبير في تربية الشّعوب وتعليمها، وتكوين الأجيال فمن هذا الجانب تظهر الصلة بين الأيديولوجيا والأدب حيث يفرضان سلطتهما على القارئ أو المتعلم من الجانب الفكري والتعليمي وهذا ما يؤكده "علي حرب" بقوله: "ولهذا فإن من يرى يستولي على من لا يرى وأعني من لا يرى القارئ الذي يتنازع عليه أهل الكتابة ويوجّهون إليه خطابهم، انطلاقا من ادّعائهم الصريح أو الضّمني بأنّهم يرون ما لا يرى ويكشفون ما لا يكشفه هو بنفسه".[2]

[1] -علي حرب، نقد النص، المركز الثقافي العربي، بيروت ط1، 1993 ص 268.

[2] -المرجع نفسه، ص 268.

إذن فسلطة الكاتب تكمن فيما يراه ويفكر فيه قصد توجيه القارئ لأنّه هو من يكشف له ما لا يراه وعليه فإنه يحمّل نصوصه سلطة يجب على القارئ أن يعترف بها، وفي ذلك يتنازع المؤلّفون أي أهل الكتابة إلى سلطة من يخضع القارئ من خلال ذلك فإن الأدب والأيديولوجيا يلتقيان في البعد السلطوي الذي يحمّله المؤلفون كتاباتهم، ولكن هذا البعد السلطوي لا يستخلصه إلا ذوي الاختصاص بالمعرفة أي طبقة معينة من المجتمع وهي طبقة المثقّفين.

الفصل الأول: مقاربة الأيديولوجيا عند أنطونيو غرامشي

وظيفة الأيديولوجيا عند أنطونيو غرامشي

أولا- مقاربة الأيديولوجيا:

"لقد نالت الأيديولوجيا اهتماما كبيرا لدى المفكّرين الماركسيين أمثال ماركس وأنجلز، وكوفالزون ماكشين وأوليدوف ولينين وغيرهم، ولأنّ الماركسية هي التي حدّدت القاعدة الاقتصادية لوجود الناس ومن منظور الطبقة الفوقية والحياة المادّية اهتمت الماركسية بمستوى الوعي الإيديولوجي، ولقد حدد كل مفكر من المفكرين الماركسيين مفهومه للأيديولوجيا ونظرته إليها، فما هو السبب والدافع لاستحضار عمار بلحسن في كتابه الأدب والأيديولوجيا مفهوم الأيديولوجيا عند المفكر الإيطالي أنطونيو غرامشي على غرار بقية التعريفات الأخرى التي قدّمها المفكّرون الماركسيون الذين ذُكروا سابقا.

يقول "ميشال سيمون" في هذا الصدد" لقد قالوا عن غرامشي أنه المفكر الماركسي الأكثر أصالة وإبداعا بعد لينين... فنحن نعرف أن ماركس كان مفكر التّاريخ... ونعرف أن لينين هو مفكر الثورة وتقنياتها... فما هي المساهمة الخاصة لغرامشي في التفكير والنقد الماركسي؟ إن غرامشي هو مفكر السياسة والبنية الفوقية والأيديولوجيا ".[1]

وحسب رأي سيمون[2] غرامشي هو مفكر السياسة والبنية الفوقية والأيديولوجيا، فبلحسن يرى أن غرامشي لم يركّز على عنصر الاقتصاد والسياسة فقط كما فعل ماركس ولينين وغيرهما من مفري الماركسية الذين كانت نظرتهم للأيديولوجيا تقتصر على المادّة ولكن غرامشي ذهب إلى أن الأيديولوجيا: "ليست طبقية وإنما تساوي الفلسفة، وتساوي النظرة الكونية الشاملة وتساوي السياسة، أي مجمل الأفكار التي تحرّك مجتمعا ما، أو

[1] -عمار بلحسن، مصدر سبق ذكره، ص 16.

[2] -ميشال سيمون، أفهم الأيديولوجيا، دار الوقائع الإجتماعية، باريس 1978 ص 100.

تكون أساسا لوجوده وحركته، وهي لا تشمل فقط النّظريات والأفكار العامة بل تشمل كذلك كل أنساق القيم والمعتقدات.[1]

إنّ نظرة غرامشي للأيديولوجيا نظرة شاملة، فهي ليست طبقية بل تشمل كل النظم الاجتماعية وليست إيديولوجيا خاصة بفئة معينة من المجتمع بل هي إيديولوجيا المجتمع بكلّ فئاته وطبقاته.

ومن جهة أخرى يرى بلحسن أن الأيديولوجيا متداخلة مع الطبقات الأخرى عند غرامشي كذلك " فإن اللغات والأيديولوجيات متعدّدة اللّهجات ومن نواحي كثيرة، كان عمل الشيوعي الإيطالي أنطونيو غرامشي ما جعل التفكير ممكنا في كيفية تداخل الأيديولوجيات مع الطبقات الأخرى، وكيف يمكن أيضا للطبقة نفسها أن تحتوي على أيديولوجيات كثيرة ومتناقضة"[2] فالأيديولولجيات تتداخل مع الطبقات الأخرى، إذن فهناك طبقات متعددة وايديولوجيات متعددة متداخلة مع بعضها البعض، بل وفي الطبقة الواحدة نجد أيديولوجيات متعددة ومتناقضة.

ينفي غرامشي الخصوصية عن الأيديولوجيا، ويرى أنها عامة ومتعددة ومتداخلة مع الطّبقات الأخرى ومع النّظم الاجتماعية والسياسية، فإذا كان الاقتصاد يمثل قاعدة الفكر الماركسي فإن الأيديولوجيا هي البنية الفوقية، ولكن حسب ما ذهب إليه غرامشي فإنّ للأيديولوجيا تأثيرا على البناء التّحتي كذلك، لأن الفكر الماركسي يركّز على البنية الفوقية فقط، وبلحسن يستثني غرامشي الذي جعل للأيديولوجيا مساحة أوسع حين ربطها بالبنية التحتية، ولم يكتف بنظرته تلك للأيديولوجيا، بل نفى عنها كذلك فكرة أنّها وعي زائف كما يعتقد ذلك ماركس وغيره، وفي هذا الصّدد يقول أنجلز: " إنّ الأيديولوجية

[1]- أحمد خلفون و آخرون، إشكالية العلوم الإجتماعية في الوطن العربي دار التنوير دط،دت، ص 135.

[2]- آنيا لومبا، الكولونيالية و مابعدها ترجمة:باسل المسالمة الدار العربية للعلوم بيروت ط1، 2007 ص 51.

عملية ذهنية يقوم بها المفكّر وهو واع، إلا أنّ وعيه زائف لأنه يجهل القوى الحقيقية التي تحركه، ولو عرفها لما كان أيديولوجيا".[1]

يقوم المفكر بهذه العملية الذهنية وهو واع إلا أنه لا يدرك ما يدفعه لهذا التفكير، فوعيه زائف والحقيقة بعيدة عنه لأنه لا يدركها وهذا ما يرفضه غرامشي لأنه ضد فكرة أن الأيديولوجيا وعي زائف فهو لم يهتم بزيف الأيديولوجيا ما دام أن لها وظائفها التي تفيد بها ويصبّ غرامشي جل اهتمامه على وظيفة الأيديولوجيا، ولا يعتبرها وعيا زائفا لأنّ الأفكار التي تصل بنا إلى الحقيقة، وتترجم أفكار مجتمع ما سواء أكانت هذه الأفكار اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية أو تاريخية لا يصحّ أن نحكم عليها بأنها زيف أو وهم.

ومن ثمة يورد عمار بلحسن تعريف أنطونيو غرامشي للأيديولوجيا حيث يوضح أن الأيديولوجيا ليست وعيا زائفا ولا تقتصر على الاقتصاد والمادّة فقط وإنّما هي: " تصور للعالم يتجلّى ضمنيا في الفنّ، والقانون والنّشاط الاقتصادي وفي جميع تظاهرات الحياة الفردية والجماعيّة".[2]

إنّ نظرة بلحسن للأيديولوجيا توافق ما ذهب إليه غرامشي في أنّها تشمل الفن والقانون والنشاط الاقتصادي وجميع مظاهر الحياة حيث تتجلى في هذه الأمور وذلك على عكس ما يراه ماركس وأنجلز " أن الأيديولوجيا في الأساس وعي العالم المشوه أو الزائف الذي يخفي علاقة الناس الحقيقية مع عالمهم"[3] فإذا كانت الأيديولوجيا عند ماركس وانجلز تخفي الحقيقة، فإنّها عند غرامشي تصور للعالم وتتجلّى في الأمور السالفة الذكر ولا تركّز إلاّ على النّشاط الاقتصادي " وهذا يعني أن غرامشي تجاهل دور التغيرات الاقتصادية، ولكنه لم يعتقد أن هذه التغيرات تخلق وحدها الأحداث التّاريخية، وإنما يمكنها أن تخلق ظروفا مواتية فقط لبعض أنواع الأيديولوجيات كي تزهر".[4]

---

[1]- عبد الله العروي: مفهوم الأيديولوجيا ص40،41.

[2]- عمار بلحسن، الأدب والأيديولوجيا، ص 19.

[3]- آنيا لومبيا، مرجع سبق ذكره، ص 51.

[4]- المرجع نفسه، ص 51.

"وحسب هذا الرأي الأخير فإن استبعاد أنطونيو غرامشي لعنصر الاقتصاد من مفهومه للأيديولوجيا أو بالأحرى عدم التركيز عليه كما فعل ماركس و أنجلز لم يكن عنوة بل أنّه لم يعتقد أن التغيرات الاقتصادية لها علاقة كبيرة في خلق الأحداث التّاريخية، وهذا ما يشير إليه التعريف السّابق إلى أن ماركس هو مفكر التاريخ أي الماديّة التاريخية، فغرامشي أهمل هذه العلاقة بين الاقتصاد والتاريخ فالتعريفات الاقتصادية هي من تصنع الأحداث التّاريخية، ولعل هذه نقطة الاختلاف بين غرامشي وماركس، ولكن بقى السؤال مطروحا ما هو واقع الأدب والأيديولوجيا حسب مفهوم غرامشي للأيديولوجيا وإذا كانت الأيديولوجيا تصور للعالم يتجلّى في الفن وفي مظاهر أخرى تشمل كل الأنشطة التي يقوم بها الإنسان فإن الأدب يعتبر نشاطا من هذه الأنشطة وشكلا من أشكال الفنّ التي ينتجها الفرد وعليه فإن الأيديولوجيا كما ذهب إلى ذلك "ميخائيل باختين": تظهر في الكتابة ... فهي ترتبط بوجهة النّظر التي يتضمّنها العمل الأدبي وتعكس الرؤية الفنية والجمالية التي ينطلق منها الناقد أو الأديب..."[1].

ونستخلص ممّا سبق أن عمار بلحسن اختار مفهوم أنطونيو غرامشي للأيديولوجيا للأسباب التالية:

1- أنّ نظرة غرامشي للأيديولوجيا نظرة شاملة تشمل كل الظواهر الاقتصادية والاجتماعية والقانونية والفنية.

2- أن الأيديولوجيا تصور للعالم تتجلى في الفنّ وكون الأدب شكل من أشكال الفن.

3- أنّ الأيديولوجيات متعددة ومتداخلة الطبقات وفي الطبقة الواحدة نجد أيديولوجيات متعددة.

4- أنّ الأيديولوجيا هي البنية الفوقية ولها تأثير على البناء التّحتي حيث أنها لا ترتكز على الاقتصاد والحياة الماديّة كما ذهب إلى ذلك ماركس وأنجلز وغيرهما.

5- أن غرامشي نفي عن الأيديولوجيا أن تكون وعيا زائفا فهي تمثل الحقيقة من حيث

[1]- ياكوف ألسبرغ، (المنحى السوسيولوجي في النقد الأدبي)، تر،نوفل نيوف، مجلة الآداب الأجنبية، اتحاد الكتاب العرب دمشق ع1،1978 ص 73.

الوظائف إلي تؤديها في ترجمة الواقع والمجتمع.

وهكذا فإنّ نظرة غرامشي للأيديولوجيا تتوافق ما ذهب إليه عمار بلحسن من خلال طرحه لعلاقة الأدب والأيديولوجيا في كونها شاملة لكلّ الظّواهر الاجتماعية والفنّية والاقتصادية وفي تعددها وتداخلها، وبُعدها عن الزيف والوهم وربطها كذلك بين البنية الفوقية والتحتية وأنها تمثل الفن، فهذه الأسباب هي التي دفعت عمار بلّحسن لاختيار مفهوم الأيديولوجيا عند أنطونيو غرامشي لأنها تتناسب مع طرحه لعلاقة الأدب بالأيديولوجيا.

وبالإضافة إلى هذا فالأيديولوجيا تتجلى في أشكال وأنماط تنزع من حيث هي تعبيرات[1] عن طبقة من طبقات المجتمع على حدّ عمار بلحسن فما هذه الأشكال وما دورها في علاقة الأدب بالأيديولوجيا يا ترى؟.

ثانيا- تجلّيات الأيديولوجيا:

يرى عمار بلحسن أن الأيديولوجيا تتجلى في أربع[2] درجات وهي الفلسفة والدّين أو الإعتقادية، والحس المشترك والفلكلور حيث جعل غرامشي هذه الدرجات على شكل هرم بدأ بأهمها وهي الفلسفة وانتهى بالدّرجة الأخيرة وهي الفلكلور، لكن قد يتبادر إلى ذهن القارئ ما المقصود بهذا الطرح أي بإدراج هذه الأشكال والدرجات الأربعة، فإذا كانت لها علاقة بالأيديولوجيا فما علاقتها بالأدب كذلك؟.

1- الأيديولوجيا والفلسفة:

تعتبر الفلسفة أثرى درجات الأيديولوجيا في رأي عمار بلحسن وهذا عند المفكّر الإيطالي أنطونيو غرامشي، لما لهما من صلة قوية فإذا كانت الأيديولوجيا تصورا للعالم فالفلسفة كذلك تصور للعالم وكلاهما نتاج مفكرين، حيث الفلسفة تحمل خلفيّة عن كلّ إنتاج في نظرياتها، ولذا عرفت بأنّها أم العلوم أمّا الأيديولوجيا، فهي تركّز على التعبير عن مصالح طبقة محدّدة، ومع ذلك، ومع وجود علاقة قويّة بين الفلسفة والأيديولوجيا فهناك

[1] - عمار بلحسن، مصدر سبق ذكره ص 20.

[2] - المصدر نفسه، ص 21.

أوجه تشابه وأوجه اختلاف بينهما حيث أن " الأيديولوجيا بطبيعتها مذهب أو عقيدة أما الفلسفة في أغلب اتّجاهاتها واهتماماتها فهي منهج ورؤية بالإضافة إلى أن الأيديولوجيا عقيدة شمولية وذات طابع كراهي أمّا الفلسفة كمنهج ورؤية متحرّرة كذلك أن الأيديولوجيا تعتبر مذهبا دوغمائيا (قطعياّ) يقوم على اليقين التّام والإيمان الأعمى، بينما الفلسفة فكر نقدي حر، ويمكن أن تعتبر الأيديولوجيا كذلك جوابا نهائيا ومغلقا، بينما الفلسفة سؤال مفتوح لا يتوقّف لحظة إلا ليواصل السّير من جديد".[1]

نستخلص من خلال أوجه الاختلاف بين الفلسفة والأيديولوجيا أن الأيديولوجيا تعتبر فكرا مكتملا تاما أساسه اليقين المطلق لا يحتمل الشك أما الفلسفة فلا تتوقف عند جواب معيّن ولا عند قضية بعينها، فهي متواصلة مبنية على الشك والتساؤلات المستمرّة المفتوحة المبنية على الجدل والنقاش، فالفلسفة بهذا الطرح شكّ والأيديولوجيا يقين، وفي هذا الصّدد يقول الفيلسوف الوجودي الفرنسي "موريس ميرلوبونتي" في كتابه (تفريط الفلسفة): "لقد كان برغسون يقلق بينما البرغسونيّة تطمئن، كان برغسون هجوميا أمّا البرغسونية فتدافع، كان برغسون احتكاكيا بالأشياء، بينما البرغسونية مجموعة آراء مأخوذة ".[2]

هذا هو الفرق بين الفيلسوف الأيديولوجي برغسون يمثل الفلسفة في المقولة السابقة أما البرغسونية تمثل الأيديولوجيا " فالفيلسوف قد يبتلى بأتباع بلداء عاجزين عن التفكير النّقدي الحر والمستغني عن أستاذ أو وصي يهديهم إلى جادة الصواب، ولهذا فإن العاقل يستنير بعقله لا بعقل غيره إلا فيما ينوء به جهد الفرد ويحتاج إلى خبرات الكل".[3]

هذا ما يوضّح إيجابيات الفلسفة وسلبيات الأيديولوجيا، فالأيديولوجيا تنتظر من المفكر حتى ينتج أفكاره وينير أفراد المجتمع ويرجعهم إلى جادة الصواب أما الفلسفة

---

[1]- شايع بن هذال الوقيان مت تصبح الأيديولوجيا فلسفة الرابط: article.https: //www.okaz.com.sa

[2]- المرجع نفسه.

[3]- المرجع نفسه.

فغنية عن ذلك فهي لا تحتاج إلى مرشد ودليل، فالفيلسوف غير عاجز عن التفكير النّقدي الحر عكس الأيديولوجي.

ومن خلال ما تقدم فبلحسن في طرحه السابق حينما أدرج الفلسفة كدرجة من درجات الأيديولوجيا ذكر إيجابياتها وسلبياتها، فمن إيجابياتها أنها تتجسد في الفلسفة وتحمل داخلها رؤية واضحة لطيفة معيّنة داخل المجتمع ومن سلبياتها كون الفلسفة وحدها عاجزة ومشلولة عن تجسيد العلاقة العضويّة بين الأفكار وحركاتها، ومع ذلك فبلحسن لم يضع مقارنة دقيقة بين الفلسفة والأيديولوجيا واقتصر على طرح علاقة الأيديولوجيا بالفلسفة ولم يذكر علاقتها بالأدب.

2- الفلسفة والأدب:

ارتبطت الفلسفة بالأدب منذ القديم ولكن الأدب لم يبق ذلك النّتاج اللّغوي الذي يجعل من اللّغة مادّته الأساسية ومن البلاغة وسيلة يستميل بها القارئ، لقد أضحى الأدب يستند إلى الفلسفة وذلك منذ "عهد اليونانيون إلى فلسفة الأدب حين أعطوا العالم أدبا فوق مستوى العصر الذي يعيشون فيه وبفضل فلسفتهم للأدب ارتفعوا بالمجتمع اليوناني إلى أقصى مستوى الحرية، وبفضل فلسفة الأدب واجتماعيته دخلوا إلى السياسة من باب الفكر".[1]

وعليه فالأدب لم يبق بتلك الصورة العفوية كما كان في العصر الجاهلي حين جعلوا من الشاعر المثقف الأول في القبيلة والقصّاص هو راوي القبيلة وضميرها، لقد أصبح الأدب مشحونا بالفلسفة التي ساهمت في جعله لا ينفصل عنها وعن علم الاجتماع، فالعلاقة إذن قوية بين الأدب والفلسفة مذ تغيّر الوضع السائد القديم من نظام القبيلة إلى نظام الدولة وأكبر مثال على ذلك اليونانيون الذين استطاعوا بفضل دعمهم للأدب بالفلسفة أن يتحرّروا وأن يلجوا السياسة من بابها الواسع.[2]

---

[1] عبد الله شريط، المشكلة الأيديولوجية و قضايا التنمية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، دط 1981 ص 160.

[2] المرجع نفسه، ص 164.

ووظيفة الفلسفة التوجيه والتغيير الاجتماعي والعقلي، وكذلك وظيفة الأدب هي التغيير الاجتماعي والعقلي بقول "عبد الله شريط" في هذا الصّدد: "إنّنا لا نستطيع أن نجد فارقا كبيرا بين مهمة الفلسفة ومهمة الأدب في ميدان توضيح الرؤية للعلاقات الاجتماعية العقلية القائمة، وتحديد أنماط جديدة من هذه العلاقات مرتكزة على مفاهيم جديدة، ولا أستطيع أن أتصوّر مفاهيم جديدة للأدب وهي غير مدروسة من الفلسفة ولا محوّلة إلى فن عند الأدباء، ومن ثمّ لا أستطيع أن أتصور كيف يمكن أن تنقطع العلاقة بين الفلسفة والأدب، وبين الفيلسوف أو المهتم بشؤون الفلسفة وبين الأدب أو المهتم بشؤون الأدب والفن ". [1]

إذن فالأدب والفلسفة يشتركان في المهمّة نفسها وهي التغيير الاجتماعي والعقلي، حيث لا تجد فارقا كبيرا بين مهمتهما حسب "عبد الله شريط"، فهو لا يتصوّر أي جديد في الأدب دون أن تكون الفلسفة حاضرة فيه، وإذا كانت الفلسفة كعنصر في الأيديولوجيا وفي نظر عمار بلحسن هي: "القدر أو المصير لطبقة اجتماعية أساسية في نمط انتاج معين، وداخل تشكيلة محددة"[2] فإن من الضروري إظهار العلاقة بين الفلسفة والأدب كذلك فالأيديولوجيا والأدب هما نتاج الفلسفة، فالفلسفة هي الدعامة والمدد التي يستند إليها كل من الأدب والأيديولوجيا، إلاّ أنّ عمّار بلحسن يرى أن الفلسفة البعيدة عن التاريخ والصراعات الإنسانية والطّبقات هي فلسفة بلا حركة ودون فعالية، وعليه يؤكد على أهمّية المعتقدات والدين بالنسبة للأيديولوجيا.

3- الأيديولوجيا والدين:

أورد عمار بلحسن الدّين والعقيدة كدرجة من درجات الأيديولوجيا، إلاّ أنّه يرى أن "غرامشي" لم ينتبه في البداية لهذا الأمر إلا بعدما تطرّق لأشكال دينيّة كاثوليكية[3]وبذلك تعتبر الكاثوليكيّة أيديولوجيا خاصة تديرها الكنيسة ورجال الدين، وعند رجوعنا إلى الماضي نجد أنّ الإنسان منذ العصور القديمة كان يفكّر في أمور دينه ومعتقداته، فلم يوجد

---

[1]- المرجع السابق، ص 170.

[2]- عمار بلحسن، المصدر السابق ص 23.

[3]- المصدر نفسه، ص 25.

هناك شعب دون عقيدة معينة و دون تفكير في الحياة الماورائية، حيث يمثّل الدين كذلك تفكير مجموعة من الناس يشتركون في نفس الآراء والمعتقدات وحسب المجتمع الغربي المسيحي والكاثوليكي فالكنيسة هي التي تنظمها[1] "والممارسات الدينية مشتركة بما أنّ الكنيسة تنظّمها، ومن المهم معرفة كيف أقيمت بنى الإحاطة هذه، فكيف لا نتساءل عن دورها عندما نقارن التراتيبات الثّقيلة للكنيسة الكاثوليكية بالأشكال الأكثر مرونة للكنائس البرونستانتيّة أو الطوائف".[2]

إذن فالكنيسة ورجال الدّين لعبوا الدّور الأهم في الإحاطة بهذه الممارسات والطّقوس وترتيبها وجعلها ضمن الأشكال المعتادة في الكنيسة.

الأيديولوجيا حسب هذه الأفكار تمثّل الصّورة الثّانية للدين إلاّ أنّها لم تبلغ مبلغه، فهي تمثّل أفكار ومعتقدات لطائفة من طوائف المجتمع، أمّا الدّين فهو دين التّعالي والكلام الإلاهي المقدس[3]، وفي هذا الصّدد يقول" بول كلافال":"الشأن الدّيني عوّض فيها جزئيا بالأيديولوجي، ويتضافر الاثنان على إعطاء معنى للحياة، وهما يفعلان ذلك بنفس الطّريقة، فالشأن الدّيني يتعلّق أولا بالحياة الفرديّة، فيما يرتبط الإيديولوجي بالحياة الجماعيّة فالأوّل يتحدّث عن الآخرة، والثاني يتحدث عن الدنيا لا غير، هذان النّمطان من الممارسات والمعتقدات متكاملان بوجه ما وهما أيضا متنافسان، إذ أن قصديتهما متشابهتان: توجيه أعمال الإنسان وإضفاء الشرعية على السلطات الساهرة على الإحاطة به، وجعل بعض الأفعال وبعض الأماكن مقدّسة ".[4]

لقد مثّلت الأيديولوجيا وعوّضت جزءا من الدين بسبب تعلّقها بالحياة الجماعية، في حين يتعلّق الدّين بالحياة الفردية وعليه فوظيفتهما متشابهة إن لم نقل واحدة، وتتمثّل في

---

[1]-بول كلافال، الدين و الأيديولوجيا آفاق جغرافية، ترجمة فرج عوني، الدار المتوسطية للنشر، تونس ط1، 2010، ص 108.

[2]- نفسه، ص 108.

[3]- أحمد محمود صبحي و صفاء عبد السلام جعفر، في فلسفة الحضارة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية دط 2000 ص 206.

[4]- بول كلافال، المرجع السابق ص 16.

توجيه أعمال النّاس وأفعالهم إلا أنّ الدّين يتعلّق بالآخرة والأيديولوجيا تتعلق بالدنيا، وبما أن العلاقة بين الدّين والأيديولوجيا قويّة ووظيفتهما متشابهة فما علاقتهما بالأدب كذلك؟

إذا كان الدّين درجة من درجات الأيديولوجيا عند غرامشي و هذا في نظر عمار بلحسن.[1]

4- الدّين والأدب:

إنّ الطقوس الدّينية والشّعائر والعبادات التي يقام بها في كل أنحاء العالم هي عبارة عن أشكال دينيّة بواسطة نصوص يردّدها المتعبدون، خلال آداء طقوسهم الدّينية وليس هذا فقط، بل ومنذ القديم تعتبر الأسطورة رواية لأنها تنقل قصصا تتحدّث عن الآلهة والأرواح، وأبطال مثل الأساطير اليونانيّة المعروفة حيث دوّنت هذه الأساطير في أشكال قصائد مطوّلة تروي ملاحم وبطولات وحروبات في عصر ما أقرب منها إلى الخيال يقول "بول كلافال": "تظهر الأسطورة كرواية يمكن للجميع فهمها بما أنها تتحدث عن أوساط، وكائنات وأشياء مألوفة... فهي تروي قصة ولادة و حياة ومغامرات وموت أنواع عديدة من الشخصيات: رجال وآلهة وأبطال ...الخ ".[2]

ويقول كذلك في موضع آخر في نفس الصدد: "عندما نتجاوز غريب الروايات التي تكوّنها فإن الأساطير الكبرى تظهر هكذا كقطع مجموعة ذات معنى ديني وفلسفي في الآن نفسه بموضع الإنسان في الكون، ولهذه الأساطير قيمة توضيحية، لأنّها تضع في المشهد الفترات التي يتّخذ فيها الواقع الأشكال التي نعرفها عنه".[3]

والأسطورة لا تظهر في شكل قصائد كالإلياذة أو الأوديسة فقط تظهر كرواية تروي لنا قصصا تعبّر عن الواقع لأنّها ذات قيمة توضيحيّة فالجميع يمكن فهمها لأنّها تتحدّث عن الموت والحياة والآلهة والأرواح وأنصاف الآلهة وفي الوقت نفسه تنقل نصوصا دينيّة تتمثّل في شكل خطاب ديني، وهنا نلمس علاقة الدين بالأدب من خلال

[1]- عمار بلحسن، الأدب و الأيديولوجيا ص 25.

[2]- بول كلافال، مرجع سبق ذكره ص 127.

[3]- المرجع نفسه، ص129.

ظهور الأسطورة الرّواية كخطاب يروي لنا معتقدات كانت سائدة في مجتمعات منذ قديم الزّمان كالمجتمع اليوناني.[1]

5-الأيديولوجيا والحس المشترك والحس السليم:

لتحديد رؤية العالم اختار غرامشي مفهوم الحس المشترك حيث يقول: "الحس المشترك هو فلسفة اللا فلسفة أي تصور العالم تصوّرا غير نقدي".[2]

وعليه فالحس المشترك هو تصوّر العالم بطريقة عفويّة أي فلسفة الأشياء غير المفلسفة ومع ذلك فإن الحس المشترك في نظره ينطوي على نواة من الحسّ السليم، حيث يرى بلحسن حسب منظور غرامشي أن هنالك أنواعا مختلفة من الأيديولوجيات تسعى إلى تحقيق التّماسك الاجتماعي وهناك من يحتجّ على تعرّضه للاستغلال وسط هذه الطبقات، وبذلك تكون الأيديولوجيات حلبة للصراع الاجتماعي، وهنا " يميّز غرامشي بشكل حاسم بين الفلسفة والحس السّليم بوصفهما مستويين لعمل الأيديولوجيا... ويحلّل غرامشي كيفية تشكّل الحس السليم فهو في الواقع مجموعة من المعتقدات المتناقضة للغاية... وهكذا فإنّ الحس السّليم هو مزيج من الأفكار التي تشكل حولها الوعي العملي لجماهير الشّعب".[3]

والحس السّليم هو مزيج من الأفكار، وهو مستوى من مستويات عمل الأيديولوجيا حيث تكون فيه الأفكار متداخلة، وهي التي تشكل الوعي العملي حولها للجماهير وعليه إذا لم تكن الأيديولوجيات والطبقات متداخلة فما دورالأيديولوجيا إذن قال"ماركس وأنجلز" :"أفكار الطبقة الحاكمة في كل عصر هي الأفكار المسيطرة وعليه فكيف يمكن للناس العاديين إقناعهم بوجهة نظر معيّنة للأشياء؟ بمعنى آخر إنّ السؤال الجوهري حول

[1]- المرجع السابق، ص 129.

[2]- جان تكسيه، غرامشي دراسة و مختارات، ترجمة ميخائيل عيد منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق 1972 ص 146.

[3]- آنيا لومبا، الكولونيالية و ما بعدها ص 52.

الأيديولوجيا هو ليس ما إذا كانت حقيقة أم زيفا، ولكن كيف يتمّ الإيمان بها والتّعايش معها".[1]

ومن خلال ما تقدم تبيّن أن الأيديولوجيا لا يهمّ أن تكون حقيقة أو غير حقيقة، ولكن كيف يتم إقناع الناس العاديين بها، وهنا نلمس بعض التّناقض فإذا كانت الأيديولوجيا متداخلة مع الطبقات دون تمييز، فإنّها حينئذ مرتبطة بالطّبقة الحاكمة وبالأفراد المثقّفين في المجتمع فقط.

إن تحديد رؤية العالم وسط الطبقات المسودة والتّابعة تتحدّد بالحس المشترك حسب منظور بلحسن حيث يصنّفه بأنّه معقّد ومركّب في الوقت نفسه وسط الطّبقة أو الفئة الاجتماعية وعليه لا بدّ من التخلص من هذا التعقيد بطرح حجج عقلانية لإقناع الخصم الطبقي وإن غابت هذه الحجج يحين دور المثقفين والمتعلّمين للرد على الخصم الطبقي والتخلص من هذا التعقيد حيث يقول بلحسن:" وحتى لو لم يجد الحجج العقلانية الصارمة للإقناع والزواج بنظرة طبقته للواقع والعلاقات الاجتماعية فإنّه يعرف بالحس والحدس أن هناك مثقفين ومتعلمين قادرين على إقحام الخصم الطبقي وتقزيمه وتخريب محاججته الفكريّة.[2]

إنّ وظيفة الحس المشترك هي تحديد رؤية العالم بالنسبة للطبقات المسودة والتابعة ولكن للرد والإجابة على الخصم الطبقي لا بدّ من حضور المثقّف والمعلم للرد عليه وللتخلص من ظلم واضطهاد الطّبقة الحاكمة.

6-الأيديولوجيا والفلكلور:

يرى بلحسن أن الفلكلور هو الدرجة الصفر من الأيديولوجيا حيث صنّفه في آخر طابق من درجاتها ذلك أن الفلكلور غير قادر على الوصول إلى تصوّر عام وشمولي إذ هو مشلول ومبتور ومكون من مجموع الشّظايا والشذرات المبتورة.[3]

---

[1]- المرجع السابق، ص 52.

[2]- عمار بلحسن، الأدب و الأيديولوجيا، ص 29/28.

[3]- المصدر نفسه، ص 28.

لقد عبر بلحسن عن الفلكلور بأنه مبتور ومشلول حيث عدّه آخر درجات الأيديولوجيا وذلك لأنه متنافر العناصر وفقيد الثّراء من حيث محتوياته ومضامينه، لأنه كما يعتبره "تلك البقايا الفكرية والذهنية التي تسقط من موائد الأيديولوجيات النّبيلة كالفلسفات والعلوم والأديان".[1]

وعليه فالفلكلور غير ثريّ وهو يفتقر للأيديولوجيا عكس الدرجات السّابقة كالفلسفة والدّين ولذلك اعتبره بلحسن في آخر درجات الأيديولوجيا.

لقد عرف عن الفلكلور منذ القديم بأنّه الموروث الشّعبي والثقافي لأمة ما أو لشعب ما، وبكلّ أشكاله من أهازيج وأغاني وألغاز وأمثال وحكم وغيرها، ما تتميّز به كلّ أمة عن أخرى، حيث لا يشترط في الفلكلور أن يكون مكتوبا بل يرد مشافهة كذلك، فهو يؤثر في أشكال التّعبير الأدبي على حد قول "محمد مصطفى النور":" إنّ الفلكلور عبارة عن العناصر الثّقافية المؤثّرة في أشكال التعبير الأدبي والفنّي التي تصدر عن وجدان المجتمع في فترة زمنية محدّدة وبالتالي فهو لا يقتصر على الرّيف فحسب بل يرتبط بحياة الناس في إطار ثقافي يصوغ سلوكهم وعلاقاتهم"[2] إذن فالفلكلور من العناصر الثّقافية التي تؤثّر في الأدب والفن، لا يقتصر على مكان معين كالرّيف، بل هو من جهة يرتبط بسلوكات النّاس وعلاقاتهم ويصوغها ومن جهة أخرى فهو لا يختصّ بمجموعة من الناس فقط، بل يعمّ جميع أفراد المجتمع سواء في الرّيف أو المدينة، ولعلّ هذا ما جعل "عبد الله العروي" يصف الفلكلور ويتّهم المجتمع الذي يظهر فيه بالمتخلف، كما أنه يميّز بين الفلكلور والعمل التعبيري فيقول :"كلّ عمل فلكلوري، أكان موسيقيا أو تشكيليا أو أدبيا إنّما يرث عن المجتمع الذي يظهر فيه صفة التّخلف، بل يمكن القول إنه يستمد منها ما يلصق به من قيمة، أما العمل التعبيري فهو بالعكس يهدف إلى جبر النقص من خلال التعبير أنّه يشحذ الوعي الفردي والجماعي".[3]

---

[1]- المصدر السابق، ص 30.

[2]- محمد مصطفى النور، الفلكلور والحياة الشعبية في منطقة الحامداب، وحدة تنفيذ سد مروي، مؤسسة الصالحاني ، دمشق ط1، 2004 ص 09.

[3]- عبد الله العروي، مرجع سبق ذكره، ص 208.

وهكذا يتضح أن بلحسن يجعل الفلكلور آخر درجة من درجات الأيديولوجيا، لأنّه يرث صفة التخلّف من المجتمع الذي يظهر فيه، وهذا حسب "عبد الله العروي "الذي يميّز بين الفلكلور والعمل التّعبيري، فالعمل التّعبيري هو ما يشحذ الوعي الفردي والجماعي بينما ذهب "مصطفى النور:" أن العلاقة قويّة بين الفلكلور وأشكال التعبير الأدبي، فالفلكلور من العناصر المؤثرة في أشكال التعبير الأدبي ويبيّن وظيفة الفلكلور التي تظهر في التّميز بين الشعوب وأفكارها ودياناتها، ويحقّ لكلّ شعب حسب موروثه الشعبي وحسب عاداته وتقاليده أن يقبل أو يرفض أفكار غيره من الشّعوب، وفي ذلك يقول :"ويخطئ من يظن أن الفنون الشعبية تهدف إلى التّسلية والتّرويح عن النّفوس المكدودة، بل أنّ وظيفتها الأساسية المحافظة على ذات الفرد ودينه وثقافته وفكره، ليقف بقوّة أمام الثّقافات الوافدة".[1]

لقد بين "مصطفى النّور" الوظيفة الأساسية للفلكلور ولخّصها في المحافظة على ذات الفرد ودينه وفكره، أليس الدّين والفكر والثّقافة كلّها من مظاهر الأيديولوجيا، وعلم الأفكار وتصوّر العالم، إنّ الفلكلور لا يقتصر على تسلية الناس والتّرفيه عنهم فقط، فهو فرع من فروع الأدب له خصوصيّاته كما أنّه يفرّق بين ما هو أصلي وما هو معاصر ويستمدّ من موروثه جزءا من التّاريخ للتّعريف بين الشعوب والأمم ومعرفة أفكارها وثقافاتها ومعتقداتها، فكلّ هذا يؤدّي بالمجتمع للمحافظة على خصوصياته التي تميّزه عن غيره.

وعند عودتنا إلى بلحسن فإنّه يرى أنّ غرامشي لم يجعل أي دين مظهرا من مظاهر الأيديولوجيا ودرجة من درجاتها وإنّما يقصد شكلا خاصّا من الدّين وهو الديانة الكاثوليكية يقول بلحسن:" قام غرامشي بتحليل شكل ديني هو الكاثوليكية كأيديولوجيا خاصّة تملك نمطيّتها ومضامينها وهيكلها جهاز أيديولوجي هو الكنيسة التي يديرها مثقّفون هم الأكليروس أو رجال الدّين... ".[2]

[1]-محمد مصطفى النور، مرجع سبق ذكره ص 10.

[2]-عمار بلحسن، الأدب والأيديولوجيا، ص 26.

ثالثا- وظائف الأيديولوجيا وهيمنتها:

حصر عما بلحسن دور الأيديولوجيا ووظائفها في أنّها:

" تعطي التّجانس والوحدة للقوى المادية، وتكفل لها الحصول على الوعي الذّاتي وتعطي صورا عن موقعها داخل شبكة العلاقات الاجتماعية، بالإضافة إلى ذلك فهي تربط بين الطّبقات حيث يشبّهها بالإسمنت المسلح الذي يستعمله البناء للرّبط بين جدران وغرف العمارة، وتربط حسب غرامشي بين الدّين والثّقافة والإيمان والمعتقدات، وزد على ذلك لها فعالية بسيكولوجيّة، أي أنّها تؤثّر نفسيّا وذاتيّا على الناس، بل هي أداة تنظيمية إداريّة لهم، ولما يمارسونه من نشاطات متنوعة و مختلفة".[1]

هكذا يقدّمها "عمار بلحسن" من خلال تحديده لوظائفها عند غرامشي بينما وظائف الأيديولوجيا عديدة إذا ما قارنّاها بالوظائف التي أوردها عمار بلحسن، فيوجد من جمع للأيديولوجيا وظائف أخرى تتمثل في:

- تضمن الأيديولوجيا التّلاحم الدّاخلي وتحفظ الأمن القومي الخارجي وخاصة في المجال السياسي، وتخلق تعارضا بين الاصدقاء والأعداء بحيث يدافع كل فرد عن المجموعة التي ينتمي إليها والتّصدي لكلّ من يعارضها.
- تقدّم الأيديولوجيا تبريرا لكل من يسعى لتغيير معسكره أو مجموعة ويختار معسكرا آخرا حتى لا يغيّر اتّجاهه نحو حزبه.
- تخفي الأيديولوجيا العواطف ولاسيّما العواطف التي تخلق عداوات تشكّل خطرا على الآخرين، حيث تختار ستار "التأدّب" لأنّ سيطرة هذه العواطف العدوانيّة تقود إلى أعمال وتصرّفات خطيرة كالقتل والنّهب والاغتصاب وغيرها.
- إن الفاعل السّياسي يكون أمام خيارات عديدة ولذلك تسعى الأيديولوجيا إلى تعيين قيم تنظيم المجتمع وتكون كوسيلة لتقليص دوائر عدم اليقين وترجع الواقع إلى صياغات بسيطة مثل النّظام البرلماني الذي يحقّق الحرية.

[1]- أنظر : المصدر السابق، ص 35، 36.

- تجوّز الأيديولوجيا الإدراك، وتوضّح وظيفة التّعيين، لأن الفاعل السياسي بحاجة إلى إدراك الواقع الاجتماعي لأنّ طموحاته تتزايد في قطاعات أكثر شمولية داخل الواقع الاجتماعي.[1]

هذا في ما يخص وظائف الأيديولوجيا عند محمد سبيلا وعبد السلام عبد العالي ولكننا نجد لذلك من يحدّد للأيديولوجيا وظائف أخرى مثل "بكري خليل"[2] الذي يلخّصها في الوظيفة الفلسفية وتتمثل في فلسفة المجتمعات حياتها وتكون الأيديولوجيا هي النّسيج الضّام الّذي يربط بين وقائع الحياة وكذا الوظيفة البنائيّة، والتي تتمثّل في خدمة بعض المصالح، وكذا توجيه أنصار الأيديولوجيا إلى تحديد موقعهم في العالم، والتكيّف معهم، والوظيفة النفسيّة التي تعطي صورة أخرى للواقع وتكون هذه الصورة مثالية تجعل النّاس يدركون قيمتهم أمام أنفسهم وأمام غيرهم، والوظيفة الاستشرافية والتي تتمثل في تكوين عقل يتوجه إلى المستقبل حيث تجعل له أهدافا وتوقّعات لما هو آت.

وهكذا تعتبر وظائف الأيديولوجيا متعدّدة بتعدّد مجالاتها وتعدّد علاقاتها وارتباطاتها بالعلوم الأخرى مثل الفلسفة، وعلم الاجتماع والعلوم السياسية وغيرها، أمّا بالنّسبة لعلاقتها بالأدب فقد سار عمار بلحسن في مبحثه هذا بالتدرّج فأوّلا بدأ باختيار مفهوم الأيديولوجيا عند غرامشي، ثم بيّن تجلّيات الأيديولوجيا ودرجاتها ثم وظائفها وفعاليتها وما جعل بلحسن يقتصر على الوظائف السّالفة الذّكر للأيديولوجيا مثل ربطها بين الطبقات داخل المجتمع هو التأكيد على شموليّة الأيديولوجيا و تأدية دورها التلحيمي والتّسليحي الذي يجعل الأيديولوجيا كالإسمنت المسلح داخل الطّبقات الاجتماعية وحتّى يميّز بلحسن حسب ما أورده غرامشي بين الأيديولوجيا العضويّة والأيديولوجيا المبتذلة.[3]

وقد ركّز بلحسن على هذه الوظائف لأنّه كما أسلف وذكرنا يتدرّج في الوصول إلى شرح العلاقة بين الأيديولوجيا والأدب، ولعل طرحه لمشكلة المثقفين بعد وظائف

---

[1]- محمد سبيلا وعبد السلام بن عبد العالي، الأيديولوجيا دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط2،2006، ص 52،53.

[2]-بكري خليل، الأيديولولجيا والمعرفة، دار الشروق الأردن، ط1، 2002، ص 181.

[3]-ينظر عمار بلحسن، الأدب و الأيديولوجيا ص 35.

الأيديولوجيا يكشف ويفسّر سبب تركيزه على وظيفة الأيديولوجيا والمتمثّلة في الرّبط بين الطبقات والشموليّة وكذا التلاحم والتّسليح.

رابعا- المثقف والأدب والأيديولوجيا:

طرح بلحسن تساؤلا عن كيفية تكوين الوعي الذاتي لطبقة اجتماعية والوصول في الوقت ذاته إلى طريقة لتحصين مسلّح ومضادّ للوعي والفكر الذي يناقض هذه الطّبقة، وإجابة على هذا التساؤل عرض طرح أنطونيو غرامشي لمشكلة المثقّفين، ومن المعروف أن المثقّفين هم النّخبة والصّفوة من كل طبقة اجتماعية معينة، وعليه وقبل الوصول إلى سبب طرح مشكلة المثقفين فمن الضّروريّ معرفة مفهوم المثقّف أوّلا.

1- مفهوم المثقف:

تعدّدت مفاهيم المثقّف فكلّ يراه حسب فهمه ولعل مصطلح المثقّف ما أطلق في بادئ الأمر على فئة كانوا ينادون بحقوقهم السياسية، ثم بعد ذلك على من يكون ذا وعي وملمّا بكلّ علوم عصره أو هو كلّ من كانت له علاقة بالفكر والفلسفة والأدب، ولذا ولكثرة المفاهيم التي وضعت للمثقف وهذا نتيجة لكثرة المجالات التي يستقي منها المثقّف تعلّمه وعليه يعرف "تويس فوبير" المثقّف بأنه: " ذلك الشّخص المتعلّم والذي ينتمي بدوره إلى الطّبقة الوسطى، ويشتغل بما تعلّم، وهو في ذلك يختلف عن الذي يعمل بالصّناعة والتّجارة من الطبقة العليا والطبقة الدنيا".[1]

يعدّ المثقّف حسب التّعريف السّابق من الطبقة الوسطى وبين الطبقة العليا والطبقة الدّنيا، فهو الشّخص الذي تعلّم وعمل بما تعلَم، حيث أنه يختلف عن العامل بالتجارة والصناعة لأنه يعمل بما تعلَم.

ويرى" جيرار ليكلرك" أنّ المثقّف بصفة عامة كما يقول" كوزر": " هم المنحدرون من الكهنة والأنبياء والرّهبان والمتعلّمين، أو هم ورثتهم، إنّهم المعنيّون بالدّبرجة الأولى بالبحث عن الحقيقة وبالإحتفاظ بها، بالقيم الجمعيّة والمقدّسة، تلك التي تتحكّم في جماعة

[1] -Tewis Feuer , ideology and the ideologi sitis bosil , b.l.a.ck.ue.ll,oxford , 1975 pp,202,205.

وفي مجتمع وفي حضارة"[1] هذا عن المثقّفين بصفة عامة ثم يخصّص تعريفا للمثقّف على أساس نظراته العامة للمثقّفين فيقول: "المثقّف هو هذا الكائن الهجين الذي من الناحية المهنيّة، ينتج عملا فنّيا أو علميا، والذي بوصفه فاعلا ملتزما بشؤون المدينة أو الحاضرة، يرى نفسه شاء أم أبى، وقد تمتّع بقدرة على الرؤية العامة ترفعه إلى مستوى النّجوم ورجال السياسة، وأهل وسائل الإعلام...".[2]

يرى "جيرار ليكلرك" أنّ المثقّف هو الهجين أي الذي يجمع بين العمل الفنّي والعلمي وله قدرة على الرّؤية العامّة، تجعله يبلغ مستوى عال بين رجال السياسة والمختصّين في وسائل الإعلام، حيث يجمع المثقّف بين الكهنة والأنبياء والرّهبان والمتعلّمين أو ورثتهم، حيث تكون وظيفتهم البحث عن الحقيقة، فهذا هو قصده بالهجين أي الملم أو الآخذ من كل علم بطرف، ويتميّز برؤية معينة تجعله قادرا على الوصول إلى الحقيقة.

ويعرف "جان بول سارتر" المثقف بأنّه :" فالمثقف هو وكيل للمعرفة العمليّة، ويندر أن يكفّ عن كونه كذلك حين يصبح مثقفا ".[3]

يجعل سارتر من المثقف وكيلا يلازم المعرفة العملية أي هو من يطبّق معرفته عمليا حتى ولو أصبح مثقّفا بالدّرجة الأولى أي أنّه لا يتراجع ولا يتخلى عن صفته تلك ويعرفه كذلك بأنه:" ذلك الإنسان الذي يدرك ويعي التعارض القائم فيه وفي المجتمع بين البحث عن الحقيقة العملية وبين الأيديولوجيا السائدة..."[4] وعليه فالمثقف هو الإنسان الواعي الذي يكشف تلك التعارضات والتناقضات الموجودة في مجتمع ما حيث يصل بذلك إلى الحقيقة في حين أنه العالم بأسباب تفرّق المجتمعات وتمزّقها، وهكذا يكون المثقّف هو من صنع المجتمع وأنتجه.

---

[1]-جيرار ليكلرك، سوسيولوجيا المثقفين، ترجمة جورج كنورة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص 18.

[2]- المرجع نفسه، ص 19.

[3]- جان بول سارتر، دفاع عن المثقفين، تر جورج طرابشين، دار الآداب، بيروت ط1، 1973، ص 36.

[4]- المرجع نفسه ص 33.

أما المفكر العربي الجزائري "عبد الله شريط" يعرّف المثقّف بقوله: "إنّ تعريف المثقّف ليس هو المتبحَر في مادَة أو بضع مواد من المعرفة، وهو مستعبد لما يعرف، وإنّما التّعريف الحقيقي للمثقّف هو من "يسيطر" على مادّة ثقافيّة ويتصرّف فيها ويغيرها مع الحياة"[1] فالمثقّف حسب هذا التعريف الأخير ليس هو الملم بالعديد من المواد من المعرفة فحسب، وإنّما هو من له قدرة السيطرة على مادَة ثقافية وكذلك على غيرها حيث يستطيع أن يتصرّف فيهما مع الحياة أي هو المتمكّن من التصرّف في مجال من مجالات العلم ولا يقتصر عليه بل يستطيع أن يتصرّف في مجال غيره كذلك.

من خلال التّعاريف السّابقة ونظرتهم للمثقّف، نستخلص أنّ المثقف هو الإنسانيّ الواعي أو المدرك والعارف والملم بالمعرفة وكذا المسيطر على مجال معيّن من المعرفة، بحيث أنّه يعمل على مناصرة الحق، بما يملك من أدوات معرفية، لأنّه يقف موقف الاعتدال فلا ينحاز إلاّ إلى الحق، وعليه وعند رجوعنا إلى عمار بلحسن وموقفه من اختيار مشكلة المثقفين عند غرامشي، حيث "أن دراسة غرامشي للأيديولوجيا، لا تنفصل منهجيّا عن مشكلة المثقّفين، ففهمها وتحليلها يستلزم فضلا عن تحليل بنية الطبقات الاجتماعية، معرفة بتوزيع المثقّفين بشتّى أصنافهم، ومعرفة بتكوينهم وروابطهم العضوية المتباينة مع الطّبقات الاجتماعية"[2] وغاية بلحسن من هذا الطرح هي تبيين دور غرامشي ومساهمته في تكوين نظريّة سوسيولوجيّة حول المثقّفين، لأنّ دراسة الأيديولوجيا عنده مرتبطة بمشكلة المثقفين، وذلك قصد معرفة المثقفين بمختلف أصنافهم، وكي يبيّن الرّوابط بين هذه الفئة "المثقفين" وبين الطبقات الاجتماعية قسم المثقّف إلى قسمين مثقّف عضوي ومثقّف تقليدي.

2- المثقف العضوي:

تكمن وظيفة المثقّف العضوي في ربط البنية التحتية بالبنية الفوقية حيث تعرفه "ماريا أنطونينا" :" هو المثقّف الذي تكون علاقته مع الطبقة الثورية ينبوع تفكير مشترك، فليس هو ذلك النّرجسي الفرداني المحلّق على أجنحة الفكر الحر... والذي يقيم علاقة

[1]- عبد الله شريط، المشكلة الأيديولوجية و قضايا التنمية ص 116.

[2]- عمار بلحسن، مصدر سبق ذكره ص 48، 59.

مضبّبة أسريّة، مع الطّبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها "[1] وعليه فالمثقّف العضوي هو الّذي يكون تفكيره مشتركا، والذي تكون علاقته مع الطّبقة الاجتماعية مباشرة دون أي عقد أو قيود، فهو لا يفكّر لنفسه بطريقة نرجسيّة ويترفّع عن طبقته التي ينتمي إليها يقول "جان بول سارتر" في هذا الصدد: " المثقّف أكثر النّاس تجرّدا و خواء يدين فهو لا يسعه أن يكون عضوا في نخبة أو صفوة ما، لأنّه لا يتمتّع في البداية بأي معرفة، ولا بالتّالي بأيّ سلطة، ولا يسعه أن يزعم أنّه يعلم، لأنّه وإن تواجد في كثير من الأحيان في أواسط المعلّمين لا يعدو أن يكون جاهلا في البداية، ولئن كان أستاذا أو عالما، فهو يعرف بعض الأشياء، وإن لم يكن في مقدوره أن يشتقّها من مبادئ عامة".[2]

فالمثقّف العضويّ إذن قد جرّد من ميزة النّخبة لأنّه كان في بداية أمره لا يعرف شيئا، ولا يستطيع أن يزعم بأنه يعلم وحتى وإن علم فإنّ ما علمه قد استقاه من مبادئ عامّة، وما هذه المبادئ العامة إلاّ ما يعالجه من قضايا المجتمع وعليه فإن وظيفة المثقّف العضوي هي " إنتاج الثقافة وإبداع القيم الثقافية ومكانته تتحدّد في عملية إنتاجه للخبرات الفكريّة والقيم العلميّة والأدبيّة والفنيّة".[3]

إنّ وضعيّة المثقّف ومكانه ووظيفته عند بلحسن من خلال ما تقدم تتلخّص في كونه منتجا للخبرات الفكرية بالإضافة إلى إبداع القيم الثقافية، ومن هذه الخبرات الفكرية تحدّث عن الخبرات الفكرية الأدبية والفنّية، وهذا ما يؤكّد أنّ الأدب نتاج فكري ينتجه المثقّف، فالأديب مثقذف والمؤرّخ مثقف، والنّاقد والرّاوي كلّهم مثقّفون لأنّهم يساهمون في توجيه النّاس ويحدّدون لهم طريقهم فهؤلاء المثقّفون يطلق عليهم مصطلح "الأنتلجنسيا" وهذا المصطلح يبين أن المثقفين "جماعة محددة داخل المجتمع، ويتمثل هؤلاء المثقفين في النقاد والروائيين والثوريين الذين يحدّدون معالم الطّريق في أيّ دولة ويتميّزون بقوّتهم الأيديولوجيّة والسياسية"[4] وعليه فإنّ أهميّة المثقّف لا تتوقّف عند كونه عالما وعارفا فقط،

---

[1]- المصدر السابق، ص 53.

[2]- جان بول سارتر، مرجع سبق ذكره ص 36.

[3]- عمار يلجسن، إنتلجنسيا أم مثقفون في الجزائر، دار الحداثة بيروت، ط 1، 1976، ص173.

[4]- اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية (عربي – أنجليزي)، ص 59، 60.

وإنما تتحدّد أهميته ووظيفته في دوره وما يقدّمه من فائدة للمجتمع، بقوّته السياسية والأيديولوجية.

3- المثقّف التقليدي:

ينحدر المثقف التقليدي حسب غرامشي من الفلاسفة ورجال الدّين الذين يجعلون لأنفسهم استقلاليّة عن الطبقات الاجتماعية، لكنّهم في بادئ الأمر كانوا مثقّفين عضويين خاضعين لسلطة طبقات اجتماعية سابقة، ولماّ زالت هذه الطبقات أصبحوا كبقايا لطبقات ثقافية اجتماعية، وبذلك يكون المثقف التقليدي قد تخلّى عن طبقته الماضية بمحاولة دمجه في طبقة أخرى، وهكذا يكون المثقف التقليدي آيلا إلى الزوال، وليس هذا فحسب فالمثقف التقليدي عكس المثقف الأصيل، الذي ينتج ثقافة من مجتمعه هو لا أن يستورد ثقافة أجنبيّة عن وطنه، ويكون عالما بها ويتصرف فيها فهذا ما يحدث تماما عند بعض المفكّرين والمثقّفين الّذين تأثّروا بثقافة الغرب من المفكّرين الأوربيين، وأخذوا من ثقافتهم ووظّفوها في مجتمعاتهم[1] يقول "علي شريعتي" في هذا الصدد: "إنّ هذه الطاّئفة تسمّى أهل الفكر والتي ظهرت في المجتمع الإسلامي والمجتمعات الشرقيّة، تحمل ملامح النّسخة الأصلية التي نقلت عنها أي طبقة أهل الفكر في أوربا ... التي اختارت هذه الخصائص على أساس ملامح مجتمعها وتاريخها... ولكن المثقف الشّرقي والإسلامي أخذ هذه الخصائص من المفكّر الأوربي عن طريق الاحتكاك والترجمة والتقليد..."[2] فالمثقف التقليدي إذن هو من احتك بالمفكر الغربي وترجم ثقافة غيره ونقلها إلى مجتمعه فاعتبر نسخة ثانية للمثقف الأصلي.

نستخلص أن عمار بلحسن من خلال طرحه لآراء غرامشي وتحليله للأيديولوجيا، والمتمثّلة في شموليتها وتعددها وتداخلها واستبعاده قضية الطبقية، ومن محاولته الربط بين البنية الفوقية والبنية التحتية، ووصولا في الأخير إلى طرح مشكلة المثقفين وتقسيمها إلى مثقف عضوي ينتج الثقافة، ويخدم الجميع، ولا يمثل صفوة أو نخبة معينة ومثقف تقليدي ينتمي إلى طبقة قديمة آيلة للزوال.

---

[1]- على شريعتي، مسؤولية المثقف، ترجمة ابراهيم الدسوقي شتا، دار الأمير للقافة والعلوم، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص 94،95.

[2]- المرجع نفسه ص 94، 95 .

ويرى غرامشي أن كل أفراد المجتمع مثقّفون ولا توجد نخبة إلا أنّ ثقافتهم مختلفة ومتفاوتة، إذ يحطّم هذا الجدار القائم بين كل أفراد المجتمع رغم اختلافهم وتفاوتهم، فكلّ إنسان مثقف عند غرامشي حيث يقول: "إنّ كل النّاس مثقفون، لكن ليس لهم كلّهم أن يؤدّوا وظيفة المثقّفين في المجتمع "[1]

وعليه ورغم نظرة غرامشي الشّاملة للمثقفين وتعميم الثقافة على جميع الناس إلا أنذه يميذز بين وظائفهم لأنّهم لا يؤدّون دور المثقف جميعهم، فالذين لا يشتغلون بالثقافة غير عاجزين عن ذلك إلاّ أنّهم لم يشتغلوا بها لأسباب أخرى، تتمثّل في طبيعة أشغالهم وأعمالهم واتجاهاتهم في الحياة التي تجعلهم غير مهتمّين بالثّقافة ولأن هنالك مختصّين ينتجون لهم من الأفكار ما يجعلهم في غنى على أن يكونوا مثقفين.

وكخلاصة لما سبق عن المثقّفين في نظر بلحسن وما أورده من آراء لغرامشي نستنتج ما يلي:

- أن المثقفين لا يفيدون الفئة الاجتماعية في الميدان الاقتصادي فقط وإنّما يقدّمون خدمات وفوائد في المجال السياسي والاجتماعي أيضا وعند بلحسن في المضمار الأيديولوجي كذلك.[2]

- إن مفهوم المثقّف لا يقتصر على التّفريق بين العمل اليدوي والجهد الذّهني بل يتجاوز ذلك ويشمل العمل التربوي والثقافي والأخلاقي.

- المثقّفون ينقسمون إلى مثقف عضوي ينظم الوظيفة الاقتصادية للطبقة المسيطرة، يضمّ الطّبقات المسودة الخاضعة ومثقّف تقليدي يلتحق بالمثقف العضوي من خلال الوقوف على أمجاد طبقته الماضية ودمجه في طبقة جديدة .

- دور المثقفين هو لحم وربط البنية التحتية مع عناصر البنية الفوقية وتجسد لمجتمع معين في مرحلة تاريخية معينة.

- يؤيّد بلحسن ما ذهب إليه غرامشي في أن النّاس كلّهم مثقفون إلا أن هناك فئة تهتمّ بالثقافة وفئة لا تهتمّ بها رغم أنّها قادرة على ذلك.

---

[1] - Antonio , Gramsci, the prison notbooks: selections trenes,qui wtih, hoane,and gelfrey (howell), smith,new,york international pu,bl,sheps 1971,p 09.

[2]- ينظر بلحسن عمار، الأدب و الأيديولوجيا ص 51.

- إنّ طرح مشكلة المثقّفين ضرورية في هذا المبحث في رأي بلحسن لأن دراسة الأيديولوجيا وعلاقتها بالأدب مرتبطة ذلك.
- أنّ من ينتج الأدب أو يقرأه ويحلّله ويفهم أيديولوجيّته هم المثقفون في نظر بلحسن.

4- المثقّف والأيديولوجيا:

يرى "جون بول سارتر" أنّ الأيديولوجيا هي رؤية العالم بالنّسبة للمثقف الذي ينتج الأيديولوجيا من خلال رؤيته للعالم يقول سارتر: "إن المثقّف هو من ينتج الخطابات العامة والدنيوية الجماعية وهي خطابات نعرّفها تحت اسم الأيديولوجيا... فهو يؤدّي عمله بمجرّد دراسته للأيديولوجيا التي لُقنَا إياها عن طريق إخضاعها، على سبيل المثال للمناهج النّقدية العادية، فهي في الواقع أيديولوجيته هو... ومن حيث أنّها رؤيته للعالم...".[1]

إن الأيديولوجيا عبارة عن خطابات ينتجها المثقّف ويدرسها ويجدّدها، بل ويحاربها ويتصدّى لها كذلك عند خروجها عن سلطته، لأن الأيديولوجيين المسيطرين هم المثقّفون وعليه فالمثقّف صاحب الموقف والمسيطر على الأفكار التي لا يجعلها تخرج عن رؤيته، فإذا كان المثقّف هو عقل ومفكّر المجتمع فهذه الأفكار ينتجها استنادا إلى عقله وإلى عوامل أخرى متعدّدة، لأنّه كما تقدّم ملم بالعلوم والمعرفة والمسيطرعلى مادّة معينّة" الفكرة الأيديولوجية ليست وليدة العقل وحده إنّها وليدة العقل والشعور والخيال والإرادة والنزعة الباطنة، أي باختصار وليدة الذّات بكلّ قواها ".[2]

والأفكار وليدة العقل، ومن المعروف أن كلّ مفكّر هو مثقف وظيفته انتاج الأفكار لتستعملها فئات المجتمعات كي تنشر الوعي وتدافع عن حقوقها، فمصدر الأفكار هو العقل وهذا ما يقود الى قوّة العلاقة بين الأيديولوجيا والعقل.

وتعدّ علاقة المثقف بالأيديولوجيا علاقة وطيدة تكمن في الدور أو الوظيفة الأيديولوجيّة التي يقوم بها المثقّف، فمن جهة هو منتج لهذه الأيديولوجيات ومن جهة أخرى يميّز بين العالم الأوروبي والعالم ككل من خلال استيعاب العقلانية الغربية، وهذا

---

[1]-ناصيف نصار، طريق الاستقلال الفلسفي سبل الفكر العربي إلى الحرية و الإبداع، دار الطليعة بيروت، ط2، 1979، ص45.

[2]- جان بول سارتر، دفاع عن المثقفين، ص 48.

ما ذهب إليه" العروي":" حيث يطرح على المثقّف مهمّات أبرزها استيعاب العقلانية الغربيّة، ثم تبني ماركسيّة تاريخية ضرورية، أي أنّه يقوم بدعوة أيديولوجية".[1]

وعليه فالمثقّف يقوم بدعوة أيديولوجية، يُعدَ من أسباب ظهوره التّمييز بين العقل الغربي والعقل العربي وغيره من العقول الأخرى في العالم، وهذا ما يبيّن أنّ المثقّف ينتج الأيديولوجيا ويدرسها في الآن ذاته، ويشتغل بها أي يقوم بمعالجة المجتمع من خلال توعيّته ونشر أفكاره ووجهات نظره، لا أن تبقى هذه الأفكار حبيسة في ذهنه فقط، وبالتّالي " يجب على المثقف أن يحوّل الكلام إلى فعل والنّظريّة إلى ممارسة ليتمكّن من تحقيق الغاية البعيدة المنوطة به، ألا وهي تغيير عقليّة المجتمع وتوعيته وتعويده على تحكيم العقل والمنطق...".[2]

يقوم المثقّف بمهام أيديولوجية تتمثّل في التّفكير أولا والكشف أو الوصول إلى الحقيقة ثانيا، ثم من الواجب عليه أن يطبّق هذه الأفكار ويحوّلها إلى أفعال، فهو طبيب المجتمع لأنّه ينظّر أفراده إلى الوعي والحقيقة، وبالتّالي فإنّ علاقته بالأيديولوجيا تظهر من خلال اشتغاله بها والرّجوع إليها، فهو يجعل منها كمادَة ينطلق منها ليمارس عمله كمثقّف يبحث ويكتشف ويفسّر ثم يعالج ويغير.

5- المثقف والأدب:

اتّضح ممّا سبق من خلال موقف المثقّف من الأيديولوجيا وعلاقته بها أنّه ينتجها ويشتغل بها، فإذا كان المثقّف من ينتج الأفكار لينير بها حياة الناس ويكشف لهم الحقيقة وينشر بينهم الوعي، فما هي يا ترى الوسائل التي يستعملها لتوصيل أفكاره لأفراد المجتمع ولا سيّما العامة منهم، وعليه يحدد "علي شريعتي" مسؤوليات المثقف ويذكر منها:" ينقل التناقضات الإجتماعية والطبقية من باطن مجتمعه ووعيه بالقدرة المتاحة له عن طريق الفن والكتابة والمحاضرات وغيرها من الإمكانات، ويلقي وعيه الإجتماعي".[3]

---

[1]- خالد زيادة، الكاتب و السلطان من الفقيه إلى المثقف، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 201-3، ص 262، 263.

[2]- عمار بلحسن، أنتلجنسيا أم مثقفون في الجزائر، ص 15.

[3]- علي شريعتي ، مسؤولية المثقف ص 135.

من هنا يتّضح أنّ المثقّف يستعمل الكتابة والفن وإمكانات أخرى، كالمحاضرات وغيرها، ينقل بها أفكاره، وهنا وجب طرح السّؤال: ألا تمثل هذه الوسائل، أي الفن والكتابة والمحاضرات، نصوصا ينتجها المثقف أليست هذه النصوص أدبا محمّلا بالأيديولوجيا، أليس المثقف بهذه الطريقة كاتبا ومحاضرا وفنّانا، وهذا ما يقود إلى الكلام عن المثقف والكاتب يطرح "جان بول سارتر السؤال": "هل الكاتب مثقّف ؟ ".

يجيب "جون بول سارتر" في البداية عن سؤاله بأن الكاتب ليس مثقفا بقوله: " نحن نلغي فيه من جهة أولى، معظم الصفات الأساسية للمثقّف، ولكن لا يبدو بصورة قبلية، من جهة أخرى، أنّ الهدف الذي يرمي إليه نشاطه الاجتماعي بصفته "مبدعا" هو تحقيق الشمول والمعرفة العلمية"[1]، نفى سارتر صفة المثقف عن الكاتب من جهة أولى لكنّه يعتبر الكاتب مثقفا من جهة، إذا كان نشاطه الاجتماعي يحقّق الشمول والمعرفة العلمية، وهذا ما يؤكّده في الأخير حين يذهب إلى أنّ :"الكاتب ليس مثقفا على نحو عارض وبداعي المصادفة، ولكنّه مثقّف بالماهية والجوهر، ولهذا السّبب على وجه التحديد يتطلب الأثر الأدبي من تلقاء نفسه أن يقف الكاتب خارجه على الصّعيد النّظري العملي".[2]

وعليه "فسارتر" يشترط في الكاتب حتىّ يكون مثقّفا أن لا يكون نتاجه من باب الصدفة فقط، وإنّما الكاتب المثقّف من يجعل إنتاجه الأدبي إعادة بناء وإحياء ونشر للوعي وتوكيد للحياة المعاشة، وأن لا يقتصر على أن يكون مجرّد فن وإبداع فحسب، بل من يحمل إنتاجه الأدبي أفكارا تنفع القارئ وتعالج المجتمع وتكشف الحقيقة، لأن هذا المثقف يكتب من أجل القارئ، وهنا وجب الكلام عن القارئ كذلك فهل ما يقال عن الكاتب يقال عن القارئ وهل كل قارئ مثقف، فالأدب بالدرجة الأولى لا يرتبط بالكاتب كمنتج فقط، بل يرتبط بالقارئ كمتلقّ، هل كلّ قارئ يعي ويفهم هذه النصوص المحمّلة بالأيديولوجيا؟

6- المثقف والقارئ:

ليس كلّ القرّاء مثقّفين ولعلّ السبب في ذلك هو تفاوت ثقافاتهم وقدراتهم على فهم الماورائيات والأفكار الباطنية في النصوص أو اختلاف أهدافهم، فيوجد من يقرأ كي يتسلى، وهناك من يقرأ كي يتتبع قصص العشاق والغراميات، لكن القارئ الحقيقي هو من

[1]- جان بول سارتر، دفاع عن المثقفين ص 67.

[2]- المرجع نفسه، ص 92.

يقرأ حتىّ يكون مثقّفا يفيد نفسه ومجتمعه، والقرّاء كما تقدم غير متساوين في نظرتهم إلى النصّ حيث قسّموا إلى ثلاث فئات وهي: "القارئ العادي وهو قارئ سلبي لا يقدم أيّة إضافة للنص، وقارئ عارف وهو من تكون له خبرة ومقدرة على إعادة إنتاج النص ولكن في نفسه فقط، أمّا القارئ الثالث هو القارئ النّاقد الذي يستطيع إعادة صياغة النّص على الورق أيضا حيث تؤثر قراءته بدورها على قارئ جديد[1] وعليه فالقارئ الثالث هو القارئ الّذي نستطيع أن نقول عنه مثقفا لأنه يقرأ بوعي، ويكشف ما يوجد في النصوص من خبايا لقارئ آخر.

والمثقّف سواء أكان كاتبا أم قارئا هو من ينتج الخطاب الأدبي والخطاب الأيديولوجي كذلك، لأنّنا نستخلص ممّا سبق أنّ الأدب والأيديولوجيا وجهان لعملة واحدة، وهي المثقّف، ولكن ليس كل كاتب مثقّف، وليس كل قارئ مثقّف، وهذا ما جعل عمار يلحسن يطرح مشكلة المثقفين ويربطها بهذه العلاقة بين الأيديولوجيا والأدب، ولكن يوجد من يرفض المعايير الأيديولوجية مطلقا في النص الأدبي لما لها من تأثير سلبي على تفاعل القارئ مع النص فمن جهة أخرى يرى أصحاب نظرية التلقي :" أن الإيمان ببعض المعايير الأيديولوجية يؤثر في تفاعل النص والقارئ وربما يعيق هذا التفاعل عندما تتحوّل هاتيك المعايير إلى موضوع ينشده القارئ في النص "[2].

لا يصبح الأدب أدبا في نظر هؤلاء إذا دُرس من أجل مناشدة المعايير الأيديولوجية في النص، إنه يفقد قيمته الأدبية إذا كان همّ القارئ الوحيد هو أدلجة النص، أي تحويله إلى معايير أيديولوجية فقط، حيث يقول سعيد يقطين: "وكثيرا ما تتدخل الأهواء والنزعات والعلاقات في الحكم على الأعمال الأدبية، فتحدّد قيما سلبية في التعامل مع النص والأدب".[3]

---

[1]- ابراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة عمان، الأردن، ط1، 2003، ص 121.

[2]- المرجع نفسه، ص 121.

[3]- سعيد يقطين، الأدب والمؤسسة نحو ممارسة أدبية جديدة، منشورات الزمن، الدار البيضاء، الرباط، دط، 2000، ص 87.

خامسا- الأيديولوجيا عنصر أدبي:

تعكس الأيديولوجيا كما يرى عمار بلحسن مختلف علاقات الإنسان مع أفراد المجتمع ومع الطبيعة كذلك، حيث يشير في الجزء الأوّل من دراسته للأدب والأيديولوجيا بأنّ الأيديولوجيا تكون تصوّرا للعالم من خلال حمل السّلوك والنّشاطات التي ينتجها الإنسان، تتجلّى في أشكال عديدة ومنها الأشكال الأدبية، فكلّ سلوك ونشاط بني البشر يحمل تصوّرا للعالم، ويتجسّد في تقييم معايير وسلوكيات ومواقف، بشأن المجتمع والحياة والوجود، إنّها العنصر الّذي يؤطّر وينتج ويفرز كلية الممارسات التاريخيّة للبشر سواء كانت في الأشكال الأدبية أو القانونية أو السياسية أو الاقتصادية ...الخ".[1]

وما يهم من هذه الأشكال، الأشكال الأدبية حيث الكلام موجه للنصوص الأدبية، فكيف تكون الأيديولوجيا عنصرا أدبياّ؟ وما الذي يجعلها حاضرة في النصوص الأدبيّة كعنصر جمالي أدبي؟ وللإجابة على هاذين السؤالين لا بد من التطرق لعلاقة اللغة بالنص والأيديولوجيا.

1- اللغة والنص والأيديولوجيا:

يعدّ النص الأدبيّ أولا نتاجا لغويا، فاللّغة هي المادَة الأساسية لكلّ النّصوص ولا سيما النصوص الأدبية، ولكن النص الأدبي لا يقتصر على اللغة وحدها، بل يستدعي انتاجه حضور سياقات خارجيّة، لأنّه لا ينحصر في وحدات لغوية متسلسلة ما كانت تعبّر عن أفكار مستمدّة من محيطه الاجتماعي، وهو ما يراه اللغويون، لأنّ البناء النصي يخضع لظروف محيطة بالمنتج، وما اللّغة إلاّ وسيلة تعبّر عن هذه الأفكار المرتبطة بالمحيط والمجتمع، يقول" دي سوسير": " اللغة نظام علامات يعبّر عن أفكار ومن هنا فهي تشبه الكتابة، وأبجدية الصم البكم، والطقوس الرمزيّة، وأشكال التأدّب، والإشارات العسكريّة... يمكن إذن تصوّر علم يدرس حياة العلامات في صدر الحياة الاجتماعيّة".[2]

فاللّغة حسب اللغوي دي سوسير هي نظام من العلامات والتي تعبر عن الأفكار وتكون هذه العلامات لغويّة وغير لغويّة في حياة اجتماعية معينة وهذا ما جعل" دي

[1]- عمار بلحسن، الأدب و الأيديولوجيا، ص 20.

[2] -Ferdinand de Saussur.e.cour .de lingu.sTique générale.pu.blié par .charles Bally et Albert. sechehaye.PA.YOT.Paris.France.1984.p33.

سوسير" يمهّد لعلم أشمل من اللسانيات، وهو السميولوجيا بإعتبارها تدرس العلامات في رحم الحياة الاجتماعية، أي تلك العلامات التي ينتجها العقد الاجتماعي ويتّفق على توظيف محدّد لها في عملية التواصل.[1]

وعليه فمفهوم النص حسب السميولوجين هو: " وحدة وظيفية تنتمي إلى نظام تواصلي".

أو هو "مجموع الإشارات الاتّصالية التي ترد في تفاعل تواصلي".[2]

ولعلّ السّبب في اختيار المفهوم السميولوجي للنص هو أن الأيدولوجيا تتجلّى في النص الأدبي على شكل رموز وشفرات لغوية وإشارات، تكون دراستها سميولوجيا مادامت عبارة عن علامات، تستعمل أثناء عمليّة التواصل وهذا ما يجعل هذه الشفرات تتوافق لتؤلف شفرة أدبيّة عامة، وهذا ما يؤكده "صلاح فضل" بقوله :"توافق جملة من عمليات التّشفير، وعلاقتها الجدلية وتراتبها البنيوية، ممّا يجعلها تؤلّف شفرة أدبيّة عامة"[3] وحسب هذه المفاهيم السميولوجية للنص فإن اللغة هي التي تجسد الأيديولوجيا في النص الأدبي من خلال تضافر علاماتها وتشكلها فيه على صورة رموز وشفرات وإشارات وغيرها.

وهكذا فإن كون الأيديولوجيا عنصرا أدبيّا يظهر من خلال العلاقة القوية بينها وبين اللغة، إذ من المستبعد الفصل بينهما وهذا ما يذهب إليه" بيار.ف.زيما" حين يرى " أن اللغة ذاتها تحقّق مجالا حيويا للأديولوجيا، واستعمالها الإبداعي يكفل لها الانتقاليّة من لدن الأديب لتضمينها شحنات أو أفكار اجتماعية وبذلك بات الفصل بين الدّلالة الإيديولوجية للنص وبين اللسانية عملا اعتباطيا، ما دامت هذه الدّلالة ملتحمة ومتمظهرة في أو بواسطة اللسانية للنصّ ذاته"[4] وفصل الدلالة الأيديولوجية الحاضرة في النص وبين بنيته

---

[1]- رزيق بوزغاية، ورقات في لسانيات النص، دار المثقف للنشر والتوزيع، باتنة، الجزائر، ط1، 2018، ص 59.

[2]- المرجع نفسه ص 58.

[3]- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، 1992، ص215.

[4]- كمال رايس، البعد الفني والأيديولوجي في الرواية الجزائرية المعاصرة، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في الادب العربي، جامعة محمد خيضر بسكرة 2014، 2015، ص 47،48.

اللغويّة أمر مستحيل فهما متلازمان، فبقدر انتماء النص الأدبي إلى اللّغة بقدر انتمائه إلى الأيديولوجيا، وبقدر انتمائه إليها تكون هي حاضرة بالمقابل كعنصر فيه، وهذا ما يراه "تودورف" حين يقول :"نحن نرى أن أجناس الخطاب تنتمي إلى المادَة اللغوية على قدر انتمائها لإيديولوجيا المجتمع المحددة تاريخيا...".[1]

ويتّضح من خلال رأي "تودوروف" قوّة الصّلة بين الأدب والأيديولوجيا وذلك من خلال إنتماء الأجناس الأدبيّة إلى المادّة اللغوية ولأيديولوجيا المجتمع المحددة تاريخيا، ويصعب الفصل بينهما كما يرى ذلك بلحسن "... بحيث ينسجم التصوير الأدبي الروائي مع الأديولوجيا ويتداخلان لدرجة يصعب الفصل بينهما".[2]

إنّ التّصوير الأدبي وما يعكسه عن الواقع يتماشى مع الانعكاسات الأيديولوجية والصراعات الموجودة في المجتمع ومن هنا يتضح التداخل بينهما واللغة هي التي تجمع بينهما في جنس أدبي معين هو الرواية كما يرى ذلك بلحسن.[3]

2- الأدب والعلامات الأيديولوجية:

إنّ حضور الأيديولوجيا في النّصوص يكون وفق التّصوير الأدبي عند عمار بلحسن حيث يشبّهها بمصورة تمشي على رجليها... وبأنها غير واضحة ومحتفية وتبدو ضمنيّة بذلك تكون أيديولوجيا عامة تكشفها الأيديولوجيا الأدبية وهذا ما يثبته بلحسن بقوله :"عن طريق التصوير الأدبي تصبح الأيديولوجيا مرئيّة، مصورة" تمشي على رجليها" غير واضحة مختفية في الغضون والثنايا، والوجوه، والسّحنات والتموّجات، تبدو ضمنيّة وغير واضحة كأيديولوجيا عامة، إن الأيديولوجيا الأدبية تفضح الأيديولوجيا العامة وتشير إليها في أي مؤلف أدبي أو روائي كيف ما كان نوعه".[4]

إن وصف بلحسن للأيديولوجيا بأنّها مخفيّة وغير واضحة وكونها ضمنيّة في النّصوص الأدبيّة إشارة إلى أن الأيديولوجيا تسكن النص الأدبي على شكل علامات ولعلّ باختين

---

[1]- تودورف تزفيتان، مفهوم الأدب و دراسات أخرى، ترجمة عبود كسوحة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق سوريا ط1- 2002 ص 18.

[2]- ينظر: عمار بلحسن، الادب والأيدولولجيا، ص 126، 127.

[3]- المصدر نفسه، ص 28.

[4]- نفسه، ص 128.

يتوافق مع بلحسن في هذا الطرح إذ الأدب يعتبر بنية فوقيّة ونتاج اجتماعي مليء ومزود بالعلامات الإيديولوجية يقول باختين:" إنّ الواقع الأيديولوجي هو بنية فوقية تقوم مباشرة فوق القاعدة الاقتصادية، وليس الوعي الفردي هو مهندس هذه البنية الفوقية الإيديولوجية ولكنه مجرد مستأجر يسكن البناء الاجتماعي للعلامات الأيديولوجية".[1]

والمجتمع هو المنتج الحقيقي للعلامات الإيديولوجية، وإنّما الوعي الفردي يبقى في المرتبة الأخيرة في هذا الإنتاج حسب باختين.

ويرى بلحسن أن الرواية تستخدم الكلمات وذلك من أجل الكشف عن الواقع وتبيينه للقارئ فالكاتب الراوي يرسل كلمته إلى القارئ كرسالة لتبليغ الطّرف الثّاني بما هو ضمني ومخفي وما هذه الكلمة إلا علامة سيمائيّة بل علامة أيديولوجية يحلّلها المتلقّي كما يرى "باختين" كذلك أن كل كلمة هي علامة أيديولوجية "فالكلمة عنده هي ظاهرة إيديولوجية بامتياز، إنّها ليست سوى تسمية أخرى للعلامة الأيديولوجية، فكل علامة هي علامة ايديولوجية، وكل علامة سيمائية هي كذلك وبصورة حتميّة علامة أيديولوجية".[2]

وعليه فباختين يجعل من الكلمة والعلامة السيميائيّة كلّها علامات أيديولوجية "وبناء على ذلك فالأيديولوجيا إذن ليست سوى منبعا للّغة، ونقطة وصول ومحطة لها وللخطاب والإبداع الفني ولإنتاج العلامات"[3] كما يرى كذلك أنّه يوجد تفاعل بين ما هو نفسي وبين الأيديولوجيا، فهذه العلامة الداخلية النّفسية، لا ينبغي لها أن تكون علامة مستقلّة لكنّها ستتحوّل إلى علامة أيديولوجية تحافظ على قيمتها وحياتها قبل أن تكون مبهمة ومهمّشة ويقول" باختين" في هذا الصدد: "إن كلّ كلمة تقدّم نفسها كما نعلم بمثابة حلية مصغّرة تتلاقى فيها وتتشابك وتتصارع النبرات الاجتماعية المتعارضة التوجّه، وتظهر الكلمة

---

[1] - A.MBAKHTINE.(v.n.volo.ch.inov)leMarxisme et .la.p.hilosophie du langage. essai.d: application de la methode.sociologique en.limyustique.trad.du russe et présente par Marine y.aguillo.paris .minuit1977.p.31.

[2]- فلاديمير كريزنسي، باختين و المسألة الأيديولوجية، ترجمة عبد الحميد عقار و حسن بحراوي، موقع سعيد بنكراد، مجلة علامات، العدد 6، 1996 ، https ;//aid.bengrad.free.fr

[3]- المرجع نفسه.

على لسان الفرد بمثابة نتاج للتفاعل الحي بين القوى الاجتماعية، وهكذا فإنّ ما هو نفسي والأيديولوجيا يتبادلان التأثير ضمن السيرورة الوحيدة والموضوعية للعلاقات الاجتماعية"[1] وبناء على ما سبق، وبعد اتضاح العلاقة والصلة القوية بين الأيديولوجيا والنّص واللغة، فالأفكار تحضر في النص الأدبي على شكل علاقات أيديولوجية تسكن النص كرموز وتلميحات وإشارات سميائية محمّلة بدلالات اجتماعية، وهذا ما ذهب إليه باختين في أن كل العلامات هي علامات أيديولوجية واللغة هي القاسم المشترك بينها وبين النّص الأدبي يقول عبد الله العروي: "إن اللغة في كل فترة من فترات الحياة القومية تلخّص في بنيتها تلخيصا تاما كل مظاهر حياة الأمّة المادَية و الفكرية".[2]

واللّغة هي الّتي تلخّص مظاهر الحياة المادَية والفكريّة، وهي التي تستدعي دلالات اجتماعية تكون حاضرة في التّعبير الأدبي، فمثلا عندما يصف أديب معين مجموعة من الأشخاص يسكنون حيًا قصديريا أو شخصا يعيش وسط كوخ سقفه عبارة على كومة من القش اليابس فوصفه لا يتوقّف عند الكوخ أو الحي القصديري، وإنّما يقصد غياب العدالة الاجتماعية كذلك.

وكذلك الأدب الواقعي عندما يصف حالة البرجوازيين الصّغار، وما يعانونه من ظلم وفقر وإهمال، ورحيل من مكان إلى مكان بعد حالة الحرب فهو يقصد بذلك محافظة الطبقات المسيطرة على مصالحها يقول العروي "واقعية نجيب محفوظ بالذات، كانت محدودة المضمون، إذ اختصّت بإبراز حالة البرجوازيين الصّغار، ضحايا الفقر والظلم والإهمال، في إطار لا نظام لبرالي يصف الأدب الواقعي مآسي أولئك الضحايا و أزماتهم الوجدانيّة وثوراتهم الفوضويّة عبر تناقض مصالحهم ومصالح الطبقات المسيطرة، تناقضات لا حل لها، ولا نهاية لها، تظهر في أشكال شتّى في الواقع حيث تتجاوز وتتعارض الأحياء العتيقة والإحياء الجديدة، فيكتسي الرّحيل من حيّ لآخر دلالة اجتماعية بالغة الأهمّية، في نمط العيش ومستوى الثقافة حيث يختلف الأثاث واللّباس واللهجة، في السلوك والأخلاق ".[3]

---

[1] -[-] M.Bakhtine,le Marxime rt ma philosophie du langage opcit,p67.

[2]- عبد الله العروي، الأيديولوجيا العربية، القاهرة، ص 118.

[3]- المرجع نفسه ص 225،226.

ومما سبق نستخلص أنّ:

- الأيديولوجيا تكون عنصرا أدبيا لأنها والأدب يعتبران نتاجا اجتماعياّ لغوياّ فالأيديولوجيا والأدب وجهان لعملة واحدة عي اللغة.
- اللغة عبارة على نظام من العلامات وهي المادّة الأولى للأيديولوجيا وهكذا حسب رأي باختين تكون الأيديولوجيا في النّص الأدبي عبارة على علامات.
- المجتمع هو المنتج الحقيقي للعلامات الأيديولوجية، لأنّ الأيديولوجيا ما هي إلاّ أفكار تعبّر عن واقع المجتمع.
- الأيديولوجيا تتخلّل النصّ الأدبي كعلامات اجتماعية تتجسّد في النص الأدبي على شكل رموز وإشارات وتلميحات سيميائية.
- الدّلالات الاجتماعية هي بدورها متواجدة في النص الأدبي الروائي لأنّها تعكس الواقع والمجتمع وخاصة المجتمع البورجوازي.

أن الأيديولوجيا تتواجد في النّص الروائي على وجه الخصوص لأن الرواية هي الجنس الأدبي الّدي تكون مليئا ومحمّلا بالعلامات الأيديولوجية.

الفصل الثاني: حضور الأيديولوجيا في الخطاب الأدبي

تقديم نظري:

يرى عمار بلحسن أنّ علاقة الأدب بالأيديولوجيا تكمن في كون الأدب شكلا أيدولوجيا حيث أنّ هذه العلاقة تقليد من تقاليد النظرية الماركسية، إذ تتمثل الإشكالية في أن الأدب يعيد إنتاج الأيديولوجيا ويعطيها شكلا، يقول عمار بلحسن:" إذن هناك علاقة حميمة بين الأيديولوجيا والأدب، علاقة كون الأدب شكلا من أشكال الأيديولوجيا وخطابا خصوصيا من خطاباتها، فهو من إنتاجها"[1]، وعليه نطرح التساؤل التالي: هل الأدب هو الذي ينتج الأيديولوجيا ويعطيها شكلا أم الأيديولوجيا هي التي تنتج الأدب وتعطيه شكلا؟

هل يعتبر هذا تناقض نلمسه عند عمار بلحسن فيما ذهب إليه عندما قال أن"الأدب يعيد إنتاج الأيديولوجيا ويعطيها شكلا"؟

وفي الوقت ذاته كون الأدب أنتج تحت تأثيرها حيث يعدّ خطابا من خطاباتها؟

لقد تعددت الأقوال في هذا الرأي،فمنهم من يوافق رأي عمار بلحسن في أنّ الأدب هو الذي يعيد إنتاج الأيديولوجيا يقول "تيرى أنجليتون" في هذا الصدد: "يشكّل النص نفسه كبنية، إنّه يفكك الأيديولوجيا لكي يعيد تشكيلها حسب شروطه النسبية المستقلّة الخاصّة به، ولكي يعالجها ويعيد صياغتها في الإنتاج الجمالي وذلك في الوقت الذي يفكّك نفسه وبدرجات مختلفة، بتأثير من الأيديولوجيا عليه".[2]

هكذا يظهر أنّ النصّ يتشكّل حين يفكّك نفسه أوّلا ثم يفكّك الأيديولوجيا ليعيد تشكيلها، ولكن بتأثير منها، إن القول بأنّ الأدب نتاج أيديولوجي أو الأيديولوجيا نتاج أدبي سواء، وذلك لأن منتج النص الأدبي قبل إنتاجه عليه أن يفكّر ماذا ينتج، وبعد هذا الانتاج نجده مزودا بأيديولوجيا، فهو يتضمنها كخطاب محمّل بأبعاد معرفية ومنه يستحيل الفصل بين الأدب والأيديولوجيا كونهما يشكّلان بعضهما، والأيديولوجيا شكل ونتاج أدبي والعكس

[1] –عمار بلحسن، الأدب والأيديولوجيا ص 71.

[2] – أنجليتون تيرى، النقد والأيديولوجيا، ترجمة فخري صالح، المجلس الأعلى للثقافة، اشراف جابر عصفور ص20.

يقول "الفجاري": "يستحيل الفصل بين ظاهر الخطاب وباطنه فإذا كان الخطاب يتضمن بعدا أيديولوجيا، فإنه في باطنه يتضمّن بعدا معرفيّا والعكس بالعكس".[1]

ومع ذلك فإن علاقة الأدب بالأيديولوجيا ثريّة ومعقّدة كما يرى ذلك عمار بلحسن معقّدة من جانب معرفة علاقة البنية الفوقية بالجماعات الأيديولوجية كالبنيات والأحزاب السياسية، وبين الخطابات التي تنتجها الأيديولوجيا كالخطاب الفلسفي والأدبي وغيرها وعليه ولدراسة علاقة الأدب بالايدولوجيا فعمار بلحسن[2] يختار الصيغة العلميّة المناسبة لهذه الدراسة والتي تكمن في دراسة الأدب كممارسة أيديولوجية في إطار علاقته بالجماعات الأيديولوجية، وهذا هوالإشكال الذي طرحه عند شروعه في الجزء الثّاني من عمله في كتابه "الأدب والأيديولوجيا".

يبيّن الطّرح الذي ذهب إليه بلحسن أن العلاقة بين الأدب والأيديولوجيا صعبة ومعقّدة وذلك لصعوبة تحديد مفهوم معيّن لها، وكذلك لتعدّد الأيديولوجيات بتعدد الطبقات الاجتماعية، وهذا إذا ما اعتبرنا أنّ الأيديولوجيا: "أفكار ومعتقدات لأفراد أو جماعات أو أحزاب معينة".[3]

على حد تعبير "كارل مانهايم" ويظهر ثراؤها في أنّ هذه العلاقة تربط بينها روابط ويتولّد عنها صراع أيديولوجي حيث تكثر فيها المناهج الّتي تسعى خلف دراستها، كالمنهج الواقعي النّقدي، والمنهج المادَي الجدلي والمنهج البنيوي التّكويني.[4]

ومن خلال ما تقدم ومع هذه الإشكالية المطروحة من قبل بلحسن في علاقة الأدب بالأيديولوجيا والمتمثّلة في دراسة الأدب كممارسة أيديولوجية ومع هذا التناقض والثّراء كيف يكون الأدب ممارسة أيديولوجية؟

---

[1]– الفجاري مختار، خطاب العقل عند العرب – كشف عن النص الغائب من ابن المقفع إلى الجاحظ، المطبعة العصرية، 1993، ص73.

[2]– عمار بلحسن، الأدب والأيديولوجيا ص74، 75.

[3]– أندور هيود، مدخل إلى الأيديولوجيات السياسية، ترجمة محمد صفار،القاهرة،مصر،ط1، 2012، ص19.

[4]- الذهبي اليوسفي، الأدب والأيديولوجيا في النقد الأدبي الحديث، ص 131.

أولا- الجماعات الأيديولوجية وعلاقتها بالأدب:

تعدَ الأيديولوجيات المحرّك بالنّسبة للطبقات الاجتماعية والرابط الذي يربط بينها، ويتمثل دورها في تشكيلة اجتماعية، كالإسمنت الذي يجعل الطبقة الاجتماعية متماسكة وصلبة وقويّة، حيث يرى بلحسن أن الأيديولوجيا يجب أن تدرس داخل مجتمع محدّد تاريخيّا يقول بلحسن: "إن دراسة الأيديولوجيا بشكل نظري تبقى ناقصة، ما لم تدرس في شكل من أشكالها المجسّدة وداخل مجتمع محدّد تاريخيا، ففي تلك اللّحظة تظهر أيديولوجيات لا أيديولوجيا واحدة بسبب انقسام المجتمع إلى طبقات وبالتّالي ظهور تشكيلات أيديولوجية ملموسة ومحدودة".[1]

إذن فالأيديولوجيا تبقى دراستها ناقصة، إلاّ حين تدرس داخل مجتمع محدّد تاريخيّا كما يرى بلحسن، والأيديولوجيا متعدّدة وذلك بسبب انقسام المجتمع إلى طبقات وهذا ما يؤدّي إلى تشكيلات أيديولوجية أخرى، وكأيديولوجيا تعبّر عن الطّبقة التي تنتمي إليها وبالمقابل فكل طبقة تؤدّي دورها في المجتمع وبالتّالي تكون مفيدة للطبقات الأخرى بقول "يانيك لوميل" في هذا الصّدد: "وهنا ينظر إلى المجتمع على أنّه مجموع محدود من الجماعات، قد يربط بين هذه الجماعات علاقات متنوعة ولكنها لا تسمح بإقامة تراتبيّة متواصلة فيما بينها، فالعلاقات بإمكانها أن تكون إما"تبعيّة أحادية"أو"تبعيّة متبادلة" فثلاثية (رجل الدين، المحارب، الفلاح) في المجتمع الإقطاعي هي مثل نموذجي عن التبعيّة المتبادلة، فالمحاربون يحمون رجال الدين والفلاّحين، والفلاّحون يغذَون هاتين الفئتين بالإضافة إلى تغذية أنفسهم، ورجال الدّين يصلّون من أجل خلاص الجميع في هذه الحالة لا تعلو فئة على أخرى، وكلّ منها يقوم بدور مفيد للآخرين".[2]

وفي تعدّد الطّبقات وانقسامها،تعدد للأيديولوجيا، وحين تخدم كل طبقة طبقة أخرى يكون التّداخل الأيديولوجي، من خلال ارتباط هذه الطبقات فيما بينها بمصالح مادَية مشتركة، وتكمّل بعضها البعض، يأتي دور الأيديولوجيا في الرّبط بين هذه الطبقات وهذا ما يراه

---

[1]- المصدر السابق، ص 88.

[2]- يانيك لوميل، الطبقات الإجتماعية، ترجمة جورجين الحداد، دارالكتب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص 13.

بلحسن: "تبدو الأيديولوجيا تلك الأفكار والتمثيلات التي ينتجها الوعي والّتي تجد منابعها في ظروف الحياة المادَية والمصالح المتضاربة داخلها".[1]

كما أن بلحسن يفرّق بين أيديولوجيا الطبقة المسيطرة وأيديولوجيا الطّبقات المسودة وذلك أن الأولى تملك وسائل الإنتاج المادي، وتملك وسائل الإنتاج الفكري كذلك يقول "ماركس وأنجلز": "إن الطبقة التي تشكّل القوة المادَية للمجتمع هي أيضا قوَته الروحية السّائدة... وبالنّتيجة فهي العلاقات التي تحمل طبقتها طبقة سائدة فهي إذا أفكار سيادتها"[2] وحسب رأي بلحسن وما أكّده ماركس وأنجلز أنّ الأيديولوجيا هي أيديولوجيا الطبقة المسيطرة التي تملك وسائل الإنتاج، وبالتَالي المالكة لوسائل الإنتاج الفكري والمتحكمة في زمام الأمور، ولكنه يرجع إلى المنظّر الإيطالي"أنطونيو غرامشي" و"لويس ألتوسير"[3] ليوضح ما قام به المنظران من بناء نظريّة علمية للأيديولوجيا ومدى مساهمتها في التشكيلة الاجتماعية وتأكيد ما يوجد من تبادل وتداخل بين البنيات الاجتماعية يقول بلحسن: "فهناك تأثير متبادل ومتداخل وثلاثي العلاقات بين البنية التحتية والبنيات الحقوقية السياسية، والبنية الأيديولوجية لأي مجتمع".[4]

وبلحسن بتقديمه ما ذهب إليه المنظران غرامشي وألتوسير يؤكّد على شموليّة الأيديولوجيا، وتداخلها بين الطبقات، فمهما كانت هنالك طبقات مسيطرة تملك وسائل الإنتاج، وتملك وسائل التّفكير فهناك طبقات مسودة تربط الأيديولوجيا أفكارها بأفكار الطبقات الأخرى.

هكذا إذن يؤكّد بلحسن على ضرورة الأيديولوجيا ويبيّن اشتغالها داخل التشكيلات الاجتماعية ويعدّها مستوى من مستويات المجتمع حيث يمثّلها بالإنسان الذي حين يعبر عن العالم، ويقول له كيف يبدو أو كيف يخيّل له كيف يبدو يقول بلحسن: "بهذا الطرح تبدو ضرورية وأساسية لكل مجتمع نظرا لكونها مستوى من مستوياته، أنّها الإنسان في

---

[1]– عمار بلحسن، الأدب والأيديولوجيا، ص 80.

[2]– ماركس وأنجلز، الأيديولوجيا الألمانية، ترجمة فؤاد أيوب، دار دمشق، شارع سورية، بيروت، ط1، 1976، ص 32.

[3]– ينظر بلحسن عمار، المصدر السابق، ص 81.

[4]– المصدر نفسه، ص 81.

حركة تعبيره عن العالم، الإنسان الذي يقول للعالم كيف يبدو أو كيف يخيّل إليه أنه يبدو وتتدخّل الأيديولوجيا في الممارسات الاجتماعية سواء كانت كلية أو جزئية، فليس هناك ممارسة اجتماعية إلا تحت ثوب أيديولوجي وبه وداخله".[1]

وبهذا الرأي الأخير لبلحسن حين اعتبر أنّ كل ممارسة أيديولوجية تحت ثوب أيديولوجي، والأدب بهذا الطرح يعتبر ممارسة اجتماعية، كون الأدب نتاجا اجتماعيا مادّيا، ألا يوجد لكل طبقة أدبها الخاص، كأدب الفلاح والأدب السياسي لدى الأحزاب السياسية، وهذا ما جعل بلحسن يصل بهذا الطرح إلى أن الأيديولوجيا تتحقّق مادَيا وكتابيا حيث يقول: "إنّ الأيديولوجيا تتحقق مادَيا وكتابيا في أيديولوجيا ملموسة وخصوصية من ناحية الشّكل والمضمون كالأيديولوجيا الدّينية، الاقتصادية، الفلسفية الجمالية والأدبية، وتبدو مادَيتها في نصوصها المنتجة داخل ظرفيذة تاريخية ومرحلة معينة من تطور المجتمع...".[2]

من بين الأيديولوجيات التي ذكرها بلحسن، والتي تتحقق مادَيا وكتابيّا الأيديولوجيا الأدبيّة كممارسة اجتماعية، تمثّل وضعا اجتماعيا معيّنا وتعالج مسائل اجتماعية، وهذا ما يجعله ذا صلة قويّة بالمؤسّسات الاجتماعية، وهذا ما يؤكده (أوستين ورينييه) بقولهما: "إنّ الأدب مؤسّسة اجتماعيّة أداته اللّغة، وما الأديب إلا عضو في مجتمع ومنغمس في وضع اجتماعي معين... كما أنه يخاطب جمهورا من الناس، وفي الواقع يظهر الأدب على الدّوام في صلة متينة بمؤسّسات اجتماعيّة معينة وعلى هذا فإنّ الكثرة الكثيرة من المسائل التي تطرحها الدّراسات الأدبيّة هي مسائل اجتماعية بشكل كلّي أو ضمني: مسائل الأعراف والتقاليد، قواعد الأدب وأنواعه ورموزه وأساطيره".[3]

إنّ الأدب حسب ما سبق مؤسّسة اجتماعية مرتبطة بمؤسسات اجتماعيّة من حيث أنّه ممارسة اجتماعية بالدرجة الأولى واللّغة أداته، فالأدب إذن نتاج اجتماعي لغوي له صلة متينة بالجماعات الأيديولوجية، ولكلّ جماعة أدبها الخاص وثقافتها الخاصة حسب

---

[1]– عمار بلحسن، الأدب والأيديولوجيا ص 86.

[2]– نفسه، ص 90.

[3]– أوستين وارين– رينيه ويلك، نظرية الأدب، ترجمة محي الدين صبحي، مطبعة الطرابيشي، ط3، 1972، ص 119.

جنسها وسنها والطبقة التي تنتمي إليها بقول "روبير اسكاربيت":" ففي الواقع، لكلّ مجموعة اجتماعيّة حاجاتها الثقافية، إذا أدبها الخاص وهذه المجموعة قد تكون جنسا أو سنَا أو طبقة، وبعدها يمكن الكلام على أدب نسائي أو أدب أطفال أو أدب عمال، ولكلّ واحد منها نظام تعامله الخاص ومؤسّساته الخاصة...".[1]

ويأتي دور الأيديولوجيا كي تحقّق التّرابط والشّمول بين هذه الطّبقات والجماعات وذلك لشموليتها وتداخلها وتعدّدها، وهذا الطرح في نظر عمار بلحسن وما أورده من آراء المنظر الإيطالي أنطونيو غرامشي وكذا منح القوى المادّية والاجتماعية شكلها ووحدتها وتجانسها، وأن تكفل لها الوعي الذَاتي المستقل، والتصوّر المنسجم للعالم[2] وهكذا نستخلص أنّ هذا الرّابط الذي تحققه الأيديولوجيا بين الطّبقات الاجتماعية والذي جمع بين الأدب كممارسة اجتماعية وبين أفكار كل طبقة بمميّزاتها وصفاتها جعل الأدب كتعبير تحت ثوب أيديولوجي يسكن داخله ليكشف عن تفكير وتصوّر كل طبقة لما يجاورها ويحيط بها ويزوّدها بالوعي الذي تحتاجه كي يزداد تصوّرها للعالم.

ثانيا- الأيديولوجيا في الأدب:

يرى عمار بلحسن أنّ الأدب والأيديولوجيا أطروحتان متناقضتان في العلاقة التي تربطهما، حيث عرض فكرتين قدّمهما الفكر المثالي انطلاقا من نظرتة للأدب تتمثّل الأولى في كون الأدب خلق وإبداع والنص الأدبي خلق من طرف ذات واعية هي الكاتب، وهو كتابة خارج التاريخ والعلاقات الاجتماعية، وتتمثل الفكرة الثّانية في أنّ الأدب هو ممارسة لا علاقة لها بالبنية الاجتماعية فهو إبداع فردي، ولا يحمل أيّ فكرة من أفكار وأيديولوجيات الفئات الاجتماعية[3] يقدّم بلحسن الفكرتين السابقتين ليبرّر موقفه من خلال هذا التّناقض الذي نلمسه في علاقة الأدب بالأيديولوجيا، كما هو في الفكر المثالي.

وإذا كان الأدب إبداعا فرديا ومع ذلك لا يمكن عزله عن الظروف الاجتماعيّة التي كانت سببا في إنتاجه، وليست الظروف الاجتماعية لوحدها وإنما تكمن علاقة النص

---

[1]- روبير اسكاربيت، سوسيولوجيا الأدب،ترجمة امال أنطوان عرموني دار عويدات للنشر والطباعة بيروت لبنان ط2 1999ص 85.

[2]- ينظر عمار بلحسن، الأدب والأيديولوجيا، ص83.

[3]- المصدر نفسه، ص 91.

الأدبي بالمجتمع من خلال اللّغة، فاللّغة هي الرّابط والجذع المشترك بينهما، ولعلّ "سعيد يقطين" يؤكّد هذه الفكرة مستشهدا "بتينيانوف" الّذي يرى"أن العلاقة بين الأدب (النص) والمجتمع لا يمكن العثور عليها إلا من خلال اللغة، إنّ الأدب وظيفة لفظية في علاقتها بالحياة الاجتماعية، وإنّ المتوالية الأدبيّة أو النظام الأدبي هو الذي نُرجع إليه مقولة "توجيه" الوظيفة، ولا يمكننا أن نُرجع هذا إلى عمل أدبي مفرد..."[1].

يوافق بلحسن ما ذهب إليه الفكر المثالي وإنّما حاول فقط أن يثبت ما ذهب إليه في كون العلاقة بين الأدب والأيديولوجيا معقّدة ومتناقضة، فهو يتوافق مع يقطين في كون الأدب والأيديولوجيا تتواجد علاقتهما مع اللغة حيث يقول بلحسن:"الأدب هو إنتاج أيديولوجي، يتواجد في علاقة مع اللغة ومختلف أشكال استعمالها، فهو إنتاج لا يوجد إلا بالعلاقة مع الأيديولوجيا ومع التاريخ، تاريخ التشكيلات الاجتماعية وتاريخ الإنتاج الأدبي..."[2] وعليه فالأدب إنتاج أيديولوجي ويتشكّل مع تشكيلات تاريخية واجتماعية فإذا كان الأدب نتاجا أيديولجيّا، فلم يجرده بلحسن إذن من علاقته بالبنية الاجتماعية بطرحه لفكرتي الفكر المثالي، وهنا يظهر التعقيد والغموض الذي تحدّث عنه بلحسن ولكنه وليتجاوز ذلك طرح فكرتي النّزعة الاقتصاديّة والنّزعة الإرادويّة للأدب ففي النزعة الأولى ذهب إلى أن الأدب شكل أيديولوجي لأن الموضوع الأدبي ما هو إلا انعكاس أيديولوجي للموقع الطبقي للكاتب، وفي الثّانية أنّ الأدب يمثّل كلمة تعبيرية تبدأ من الحقيقة وتنتهي إليها والكاتب هو سيد النّص فمنطلقه البدء من الحقيقة ثم إعادة إنتاجها[3] والأدب في نظر بلحسن من خلال طرحه للنزعة الاقتصادية يظهر كممارسة بحتة لأن هذه النزعة تحلّ محل الأدبي والأيديولوجي معا وعليه فلقد زاوج بلحسن بين الأدب كنتاج مادَي، وبين الواقع الاجتماعي، وبالتّالي فإنّ :"التّعامل مع النص الأدبي كعمل إبداعي ينبغي له التعمّق والتفحّص القائم على الملاحظة والمقارنة بين الواقع الاقتصادي والاجتماعي

[1]– سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، النص والسياق، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت لبنان، ط2، 2001، ص35.

[2]– عمار بلحسن، المصدر السابق، ص 92.

[3]– نفسه، ص 93/92.

للمرحلة الّتي أُنتج فيها النص..."[1] وهذا ما يجعل بلحسن يجمع بين الأدب كنتاج أيديولوجي وواقع مادَي في الوقت ذاته، حتى يتجاوز هذا التناقض الّذي طرحه في المنهج المثالي سابقا، وعليه فإنه يرى أنّ: "علاقة الأدب الموضوعية بالأيديولوجيا تظهر في كونه أُنتج تحت تأثيرها، وفي كونه هو يَنتج آثارا أيديولوجية...".[2]

يجعل بلحسن علاقة الأدب بالأيديولوجيا تكمن في انتاج الأدب أيديولوجيا عامّة دون أن تقتصر على ذلك فقط، ولا على اعتمادها النسق اللّغوي فحسب، وإنّما يرتبط إنتاجها من خلال الرّؤية الأيديولوجية للكاتب، فالأدب والتاريخ والعلاقة الإجتماعية يشكّلون وحدة متناقضة ومعقّدة وذلك أنّ الأدب أُنتج تحت تأثير الأيديولوجيا وهذا ما يوافق ما ذهب إليه إبراهيم علي حين يرى أنّ: "النّص الأدبي ليس ممارسة لغويّة خارج التاريخ، كما أنه ليس وثيقة استرشادية، النص هو ممارسة إنتاجية إبداعية للغة تمت وفق قوانين خاصّة أدبيّا، واجتماعيّا وتاريخيّا".[3]

يميّز بلحسن بين الأيديولوجيا العامّة الّتي ينتجها الأدب كآثار، إذ تبدو مضمرة داخل النص، وهي بدورها تكشفه، وهي أيديولوجيا أدبية، أي أيديولوجيا نصوص، وبين الأيديولوجيات الأخرى المتواجدة في المجتمع، ولكنها تشكل انعكاسا في ذهن الإنسان.

ومن ثمّ في ذهن الأديب الكاتب، وذلك أنّ الأيديولوجيا المضمرة في النّصوص الأدبيّة تساهم في تشكيل العمل الأدبي عن طريق سيرورة التّحويل، والتّشكيل والتّنوير للمواد الأولية الأدبية"[4] وهذا ما يراه بلحسن وهذا ما رآه باختين كذلك حين فسّر العلامة اللغوية التي تساهم في تشكيل الأيديولوجيا وتحضر في النص الأدبي حيث يقول: "لا نأخذ اللغة بوصفها نظام مقولات صرفيّة، نحوية مجرَدة، بل اللّغة المتمثّلة أيديولوجيّا، اللغة بوصفها

---

[1]– عمر وعيلان، الأيديولوجيا وبنية الحطاب الروائي، دراسة سوسيو بنائية في روايات عبد الحميد بن هدوقة، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة،2001، ص31.

[2]– عمار بلحسن، مصدر سبق ذكره ص 94.

[3]– ابراهيم علي، المجال الأدبي والمجال الأيديولوجي/ نقلا عن Foucault,michel :reponse,au cerel,depstemologie,cahier pour lanalise, 1968.

[4]– عمار بلحسن، الأدب والأيديولوجيا ص 94،95.

نظرة إلى العالم، بل حتى بوصفها رأيا مشخّصا تتضمّن أقصى حد من التفاهم في كل دوائر الحياة الأيديولوجيّة".[1]

وما يقصده بلحسن بحضور الأيديولوجيا داخل النص الأدبي بشكل مضمر وعلى شكل آثار وتشكّلها عن طريق المادَة الأوليّة فسّره باختين بالعلامة اللغوية ودورها في بناء النص الأدبي، حيث لم تعد اللغة مجرّد مقولات نحويّة وصرفيّة فقط بل اللغة مليئة بالعلامات المحمّلة بالأيديولوجيا.[2] وبالإضافة إلى حديث سبق لبلحسن عن عملية الكتابة ودورها في تشكيل هذه العلاقة بين الأدب والأيديولوجيا، حيث الكاتب لحظة كتابته أو إنتاجه للنص الأدبي يقوم بتحويل اللغة من مادّة دالَة إلى وضع تنظّم فيه اللّغة مرة أخرى، وهذا ما يؤكّده بقوله: "الكتابة هي عملية تحويل اللّغة وتشكيلها، أي نقلها من وضع الدالّة إلى وضع تنظّم فيه من جديد داخل النّص الأدبي"[3] وهكذا تكون وظيفة الكتابة الأدبية هي: "في أن تنجز (شعرية Poetique) لغتها الخاصة، وأن تخرج من الدّلالة الأحاديّة لتعانق الدّلالات حيث تتبلور في سياق نقدي ينفتح على آفاق جديدة بما يعطيه لها من وظائف أو واجبات جديدة، نقد المدوّنات الأيديولوجية السّائدة، نقد الشفرات السيميائية، نقد المعيش اليومي وعلاقاته وقيمه، هكذا أصبحت فاعلية الكتابة كفعل أساسي لفعل القراءة، عملية معرفيّة شاملة تجمع بين التحليل اللّغوي والتّساؤل التّاريخي...[4] وعليه فالكتابة كفعل تجعل اللغة تنفتح على دلالات متعدّدة وجديدة تحتوي على شفرات سيميائية ومعيش يومي ومدونات أيديولوجية، فالكتابة هي الفعل الأساسي الذي يجمع بين اللغة والتاريخ، وهي عملية شاملة وهذا ما يؤكده كذلك بلحسن حين يرى أن:" الكاتب يقوم بتحويل اللغة ويدخل

---

[1]– باختين ميخائيل، الكلمة في الرواية ،ترجمة يوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافة دمشق، سورية ط1، 1988 ص 21.

[2]– المرجع نفسه، ص 21.

[3]– عمار بلحسن، المصدر السابق، ص 96.

[4]– أركون محمد، الفكر العربي، ترجمة عادل العوا، بيروت،منشورات عويدات، باريس،ط1،1982 ، ص21.

في سياق" عملية إعادة إنتاج للمعنى واللغة. وبهذا المنظور يعتبر الأدب إعادة إنتاج للأيديولوجيا وليس نتاجها..."[1]

وهكذا يعتبر الأدب إعادة إنتاج للأيديولوجيا حسب عمار بلحسن وليس نتاجا لها وإنّما يعتبر أحد خطاباتها، فهي وجدت قبله كأفكار استعمل الأديب والكاتب اللغة وحوّلها إلى إنتاج أدبي وهذا ما يؤكده بلحسن بقوله: "ويبدو الأديب كعامل في ورشة لإنتاج النصوص يراكم تجربة الأجيال السّابقة في فكره وبين يديه وينطلق منها نحو آفاق جديدة..."[2].

وهناك من يختلف مع طروحات بلحسن لأنّ الأيديولوجيا ليست العنصر الوحيد المكوّن للنص وإنّما البعد الأيديولوجي في النص الأدبي يتحدّد من خلال علاقته بالعناصر الأخرى وهذا ما يوضحه "شكري غالي" في هذا الصدد بقوله:"إن البعد الأيديولوجي في النص هو أحد العناصر المكونة لهويّة النص غير أنّه ينبغي أن يتصوّر هذا العنصر وكأنّه العنصر الوحيد في النص، وإنما يتعيّن تحديد هذا البعد من خلال النص وضمن بقيّة العناصر الأخرى المكوّنة له..."[3].

ونظرة بلحسن للأديب وإنتاجه للنّص الأدبي من خلال فكره وانطلاقه نحو آفاق جديدة، وكذا اعتبار الأيديولوجيا موجودة قبل النص الأدبي لذلك فهي التي تنتجه وإنّما هو يعيد إنتاجها فقط، فيوجد من يخالفه في هذا الرأي حيث يعتبر أصحاب نظريّة النص حسب ما ذهب إليه "الياس خوري" أنّ: "النص الأدبي ليس تصورا وإنّما ممارسة "[4] وهكذا فإنّ النص هو ممارسة معينة وخاصّة بمجال معين يستعملها الكاتب لتقديم إنتاجه للقارئ فتصبح ممارسته هي الأخرى إنتاجا وهذا ما يؤكّده "سعيد يقطين "حين يرى أن: "عمليّتي الكتابة والقراءة ممارسة تقدّم كلّ منهما حين تمارس في علاقاتها بالأخرى إنتاجا

---

[1]– عمار بلحسن، مصدر سبق ذكره، ص 96.

[2]– نفسه ص 98.

[3]– شكري غالي، شعرنا الحديث إلى أين، دار الآفاق الجديدة ، ط2،1978،ص 162.

[4]– خوري الياس، الذاكرة المفقودة، دراسات نقدية،مؤسسة الأبحاث العربية،ط1، 1988، ص 19، 20.

وفي نطاق التبادل العلائقي الوظيفي بين الإنتاجين تغدو الممارسة عليهما إنتاجا كذلك...".[1]

ومن خلال ما طرحه بلحسن سابقا فإنّه يورد ثلاث أطروحات فيما يخصّ كشف وفهم علاقة الأدب بالأيديولوجيا، حيث تكمن أطروحة الأولى في كون النص الأدبي هو الذي يعيد تنظيم وكتابة الأيديولوجيا، وبذلك تصبح في بنية جديدة، ولكنها تختلف من نص لآخر، أمّا فيما يخصّ الأطروحة الثانية قيام النص بتحويل الأيديولوجيا وإعادة تكوينها بصفتها أيديولوجيا عامّة تحضر في النص بشكل مضمر، والأطروحة الثالثة فتتعلّق بكون العمل الأدبي يتضمّن عناصر معرّفة للواقع حيث تمثّل جانبا فنيّا جماليا لظواهره.

وعليه ومما طرحه بلحسن فيما سبق من علاقة الأدب للأيديولوجيا نستخلص ما يلي:

- أنّ علاقة الأدب بالأيديولوجيا معقّدة ومتناقضة ومن أجل تجاوز ذلك عرض بلحسن فكرتين للفكر المثالي ليبرّر هذا التّناقض.
- أنّ الأدب إنتاج أيديولوجي وواقع مادّي في الوقت ذاته، أُنتج تحت تأثيرها.
- أن علاقة الأدب بالأيديولوجيا تكمن في فعل الكتابة، لأن الكاتب يحوّل اللغة ويشكلها ويعيد تنظيمها داخل النص الأدبي.[2]
- أنّ اللّغة ليست مجرّد نظام مقولات صرفيّة، ونحويّة وإنّما اللغة ممتلئة بالأيديولوجيا وهذه اللغة بمثابة المادة الأولية للنص الأدبي.[3]
- أنّ الأيديولوجيا تكون في النصّ الأدبي كآثار يقوم هو دوره بإعادة انتاجها.
- الأيديولوجيا تحضر في النص الأدبي على شكل دلالات مضمرة ومتعدّدة.
- الأيديولوجيا موجودة قبل النص ولذلك هي من ينتج النص الأدبي.

---

[1]– ينظر: يقطين سعيد، القراءة والتجربة ،الدار البيضاء، دار الثقافة، المغرب ، ط1، 1988، ص 13.

[2]– ينظر: عمار بلحسن، الأدب والأيديولوجيا، ص 96.

[3]– باختين ميخائيل، مرجع سبق ذكره، ص 21.

- أنّ الأيديولوجيا ليست العنصر الوحيد والمشكّل للنص الأدبي وإنّما البعد الأيديولوجي في النص الأدبي يتحدّد بعناصر أخرى.
- أنّ النص الأدبي حسب "الياس خوري" ليس مجرّد تصوّر وإنتاج لأفكار سبقته وإنّما هو ممارسة بالدرجة الأولى وهو بذلك يخالف بلحسن.[1]
- ولا يقف بلحسن عند هذا الطرح فحسب وإنّما يرى أنّ دراسة وتحليل الأيديولوجيا الأدبيّة ينتجها شكل خاص من الأدب هو الرّواية أي أن الجنس الأدبي الذي يبيّن هذه العلاقة بين الأدب والأيديولوجيا هو الرواية، فبهذه الطّريقة يتّضح جلياّ أنّ بلحسن تحدث عن هذه العلاقة بصفة عامة ثم ذهب إلى التخصيص فهو يسير في بحثه بالتدرّج فالحديث كان على الأدب بصفة عامة ثم الرواية بصفة خاصّة.

ثالثا- الرّواية كأيديولوجيا:

يرى بلحسن أنّ الجنس الأدبي الذي يمكن من خلاله تحديد أو فهم علاقة الأدب بالأيديولوجيا هو الرواية، وليست أي رواية، إنّما الرواية التي أنتجها البرجوازية، وذلك لأنّ النّظام الرأسمالي نجح في إنتاج التشكيلات الاجتماعية الأوروبية،و هذا ما يوضحه بقوله: "يرى التحليل السّوسيولوجي الرّواية كشكل أدبي أنتجته البرجوازية الأوروبية، خلال صعودها الثوري فقد امتاز صعود الطبقة البورجوازية وانتصار نمط الإنتاج الرأسمالي في التشكيلات الاجتماعية الأوروبية، بانتقال الفرد من مواجهة واضحة لقوى ملموسة كالإقطاع والكنيسة...".[2]

ولعلّ عبد الله العروي يوافق بلحسن فيما ذهب إليه أنّ الوسط الملائم للرواية هو الوسط البرجوازي، يقول: "إنّ الوسط الملائم للرواية الحديثة هو بالتّأكيد الوسط البرجوازي على توالي أطواره، كان ذلك صحيحا أثناء نشأة الطبقة عندما انتزعت موضوع الحب، المتغلغل منذ زمن طويل في أعماق الوعي الشعبي... ثم كان ذلك صحيحا عندما استوت الطبقة وأبانت عن قوتها وفتوتها باحتكار كل مناصب الدولة

[1]- خوري الياس، مرجع سبق ذكره، ص 20،19.

[2]- عمار بلحسن، مصدر سبق ذكره، ص 99.

ومراتب المجتمع، منتصرة على كافّة الفئات، على النبلاء وغرورهم،على الكنيسة وعنادها، على الشّعب وجهله المطبق...".[1]

هكذا يظهر سبب اختيار بلحسن للرواية البرجوازية وهذا لا يعني أن الرّوائي لا يستقي أثناء عمله أو إنتاجه للرّواية من أوساط أخرى غير برجوازية، يقول العروي: "أما الوسط غير البورجوازي فهو بالتّعريف آفاقي متطرّف عن قلب وقطب المجتمع، يطلّ عليه الرّاوي من حين لآخر،لكنّه يسارع إلى مغادرته والعودة إلى محيطه الطّبيعي، الغاية من هذه الغارات الخاطفة هي بالضّبط حد المجال الروائي حيث يفرض النموذج البرجوازي بنيته، وتيرته تشكيلته، على كلّ ما سواه في المجتمع، لا شيء يرمز إلى منبع الروائيّة بكيفية أوضح من الحاضرة الفسيحة المستبحرة، فيها تتجسّد اللغة والذهنيّة والنفسانية التي تمثل قياس الإنسان السوي".[2]

يوضّح العروي أنّ الروائي يطلّ على الوسط غير البرجوازي خلال إنتاجه للنص الروائي لكنّه لا يكثر الأخذ منه، وإنّما يطلّ عليه ثم يغادره بسرعة، اختيرت الرواية البرجوازية بالذات لفرض الوسط البرجوازي بنيته على كل المستويات الأخرى من المجتمع، وفيها تجسيد للّغة والذهنيّة والنفسانيّة الّتي تعبذر عن الإنسان وتمثّل قياسه السوي.

والرّواية كما يرى بلحسن تعتبر ملحمة جديدة للبرجوازية، وتحوّلا من التّعبير الملحمي الفروسي كالإلياذة والأوديسا للشّاعر اليوناني هوميروس، فهي إذن تطور لشكل أدبي قديم كما ذهب إلى ذلك "لوكايش" حيث يؤكّد بلحسن: "إنّ تحوّل روح الإنسان والفرد من التّعبير الشّعري الملحمي الحماسي في كفاحها وصراعها وسقوطها وتدهورها أدّى إلى خلق شكل أدبي جديد هو الرواية كملحمة جديدة للبرجوازيّة"[3] وباعتبار الإلياذة والأوديسا شكلا أدبيّا قديما تحمل صراعا أسطوريّا عقديّا يتوافق مع ما يوجد في الرواية البرجوازية الحديثة من صراع بين الطبقات الاجتماعية، وهذا ما يراه "حربي عباس محمود" حين

[1]– عبد الله العروي، الأيديولوجيا العربية المعاصرة، ص 240.

[2]– المرجع نفسه، ص 240.

[3]– عمار بلحسن، الأدب والأيديولوجيا، ص 100.

يقول:" إنّ الإلياذة والأوديسا يحملان في محتواهما ذلك الصّراع بين المعتقدات والأفكار وهو ما نمّى بشكل كبير ارتباط النتاج الأدبي بالصراع الأيديولوجي والعقائدي، بل أثّر في الأمم الأخرى كما هو حال النّتاج الأدبي في الأمّة الإسلامية بعد ظهور الطّوائف والفرق، فزيادة على التأريخ بصورة أدبية، فقد رصدت جملة من أساسيات الثّقافة الغربيّة المرتبطة بالعقيدة والعرق فالتّيه وغضب الآلهة، ومواجهات عالم التّيه، يؤسطر الكتابة الأدبيّة ويعطيها طابعها العقائدي الذي لا ينفصل عن شيء من الإيمان".[1]

والفكرة هي فكرة "جورج لوكاتش" فهو صاحبها ومن طرحها أولا فالرواية عنده النوع الأدبي الذي يعبّر عن المجتمع البرجوازي وتصوّر تناقضاته فهي نوع أدبي قائم بذاته ولفهمه لا بد من الرجوع لهذه التناقضات في المجتمع الرأس مالي يقول لوكاتش: "إنّ الرواية ذلك النّوع الملحمي الكبير ذلك التّصوير الحكائي للكلّية الاجتماعية، هي القطب المقابل لملحمة العصور القديمة ونقيضها الجذري".[2]

يقرّ لوكاتش بأنّ الرّواية ملحمة بورجوازية أفرزتها تناقضات المجتمع الرأس مالي، فالرّواية بهذا المنظور تشكّلت، عبر مجموعة من المراحل ومنها مرحلة" الأفول الأيديولوجي للبرجوازية، وتنامي النّزعة المنافحة والتقريض في جميع الميادين الأيديولوجيّة، حيث غدا الصراع الطبقي بين البورجوازية والبروليتارية على سافر ومكشوف مركز جميع أحداث المجتمع "[3].

ويورد بلحسن ما ذهب إليه "أنجلز"، وما رآه عن روايات الكاتبة الاشتراكية "هاركس" والّتي كانت رواياتها ذات طبيعة واقعية وفي هذا الطّرح تناقض، لأنه كما يرى

---

[1]– أحمد مداسي، (الأيديولوجيا وصراع المركز والهامش عند الغربيين)، مجلة المخبر،أبحاث في اللغة والأدب الجزائري،جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، نقلا عن حربي عباس محمود،الفلسفة القديمة،ص 53،54.

[2]– جورج لوكاتش، الرواية كملحمة بورجوازية، شبكة الفصيح لعلوم اللغة العربية/ الموقع https://www.alfasseh.com / AM14.08.2008 .

[3]– المرجع نفسه.

بلحسن أن العلاقات الواقعية بين الناس، هدّمت الأوضاع الموضوعيّة، والمتّفق عليها اجتماعيا".[1]

يؤكّد أنّ ذلك يعتبر تهديما وتشويها للأيديولوجيا الكامنة في بنية العلاقات الإنتاجية والاجتماعية، والمصالح المتضاربة في المجتمع، ولكنه وتفاديا لهذا التناقض والتهديم والتشويه، يورد بلحسن نموذجا آخر للرّواية البورجوازية قدّمه "لينين" عندما ذكر عناصر سوسيولوجية للأدب والرواية وذلك عندما جاء في مقالاته عن الروائي الرّوسي " ليون تولستوي" وكشف عن التّناقضات التي جاءت في مؤلفاته، حيث عكس أحداثا حدثت في فترة تاريخية متناقضة، وغاية بلحسن من استحضار مؤلفات تولستوي كنموذج عن الرواية التاريخية، هي الوصول إلى نتيجة هامّة لتفسير العلاقة بين الواقع والأيديولوجيا،" تأسيسا وانطلاقا من هاتين المرحلتين المنهجيتين الهامّتين يصل النّاقد أو الباحث لعلاقة الرواية بالواقع والأيديولوجيا إلى فهم وتقييم وتثمين مؤلفات أي كاتب بالنّظر إلى مجموع علاقاته بالواقع التّاريخي وتناقضاته"[2] ولايحصل فهم العلاقة بين الرواية والواقع والأيديولوجيا إلاّ من خلال فهم تلك التناقضات التاريخية التي حدثت في فترة ما، وهو ما يؤكده جورج لوكاتش بقوله "... إن فهما حقيقيا ما لمشاكل المجتمع المعاصر لا يمكن أن ينمو إلا من فهم ما قبل تاريخ المجتمع والتّاريخ التشكيلي".[3]

إلاّ أنّ لوكاتش يرى أنّ الرّواية التّاريخية لم تتوقف عند "بلزاك وتولستوي" فحسب، وإنّما يعتبر هذا النّوع الخاص من الرواية امتدادا وتطوّرا لروايات "سكوت"، وقد أثّرت الرواية التّاريخية في تشكيل الرواية المعاصرة، وكانت متطوّرة عند "بلزاك وتولستوي"[4] يقول لوكاتش: "... وهكذا فإنّ رواية سكوت التاريخية، باعتبارها التعبير الفنّي عن موقف من الحياة أسبغت عليه صفة التاريخية عن فهم تاريخي متزايد لمشاكل المجتمع المعاصر

---

[1]– عمار بلحسن، الأدب والأيديولوجيا، ص 103، 104.

[2]– المصدر نفسه، ص 106.

[3]– جورج لوكاتش، الرواية التاريخية،ترجمة صالح الكاظم، دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد ،العراق، ط2،1986، ص 338.

[4]– المرجع نفسه، ص338.

،أدّت بالضّرورة كما رأينا،إلى شكل من الرواية المعاصرة أعلى لدى بلزاك، وكذلك عند تولستوي..."[1] لقد نقلت الرّواية التّاريخية الصراعات الاجتماعية في مجتمعات مليئة بالتناقضات، وفي امتدادها وتطورها على يد بعض المؤلفين "كسكوت وبلزاك وتولستوي" أدّى ذلك إلى الإسهام في تشكيل الرواية المعاصرة، ومن ثمّة إلى فهم مشاكل المجتمع المعاصر وما هذه الصراعات والتناقضات الاجتماعية إلا صورة أخرى للأيديولوجيا وحضورها في هذا النوع من الروايات وهذا ما يثبته بلحسن بقوله: "... كما أن منطقيّة الرّبط بين الإنتاج الأدبي والروائي والمجتمع والأيديولوجيا، تضع عنصرا أساسيا وهو علاقة الأدب كتعبير جمالي– أيديولوجي بالتناقضات والصراعات الاجتماعية والوطنية التي تحدث في المجتمعات وقدرة الأدب والرواية على عكس وإعادة إنتاج هذه التناقضات..."[2].

ولعلّ الحميداني يوافق بلحسن في رأيه السّابق حين يقول: "أن الأيديولوجيات باعتبارها عناصر واقعية تدخل إلى النص الروائي كمكوّنات للمحتوى أي كعناصر مؤسّسة للبنية الفنية... ويستنتج "ماشيري" من هذا كله بأنّ النّتاج الأدبي عند تولستوي يمتلك بسبب تلك الخصائص طابعا تعبيريا، فمن داخل ذلك التناقض بين الأيديولوجيات ينبثق التعبير الذي يعمل على تفجير هذا التناقض وتوليد المعنى..."[3].

وعليه فإن علاقة الرواية البورجوازية بشكل عام بالرواية التاريخية، هي مدى أهميّة المرحلة التاريخية التي يظهر فيها كل نص روائي، ولذلك فإن بلحسن تحدث عن الرواية كجنس أدبي، وجعل التحليل السوسيولوجي لهذا الجنس يرتبط بالسّياق الاجتماعي والتاريخي معا وهذا ما يراه كذلك الأستاذ "رشيد وديجي" حين يقول: "فلمقاربة النص الروائي سوسيولوجيا ينبغي ربطه بالمرحلة التاريخية التي ظهر فيها، وما عرفته هذه المرحلة من تغيير لأنّ كلّ جماعة اجتماعية يكون لها معجمها الخاص، وطريقة كلام

[1] – المرجع السابق، ص 338.

[2]– عمار بلحسن، الأدب والأيديولوجيا ،ص 107.

[3]– حميد الحميداني، النقد الروائي والأيديولوجيا من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب،بيروت ،لبنان،ط1،سنة 1990 ،ص 29/28.

تميزها وبلاغة تجسّد مصالحها، إذ أن لغة هذه الجماعة لا تتميّز فقط على مستوى معجمي، ولكن على مستوى البنيات الكبرى كذلك ".[1]

وخلاصة لما سبق فإنّ الرواية البرجوازية هي المهد الذي يحتضن الأيديولوجيا وذلك باستحضار الواقع التّاريخي كمادَة لها، لأنّ هذه المادَة مفعمة بالتناقضات في رأي بلحسن وأن هذه التناقضات ولدت الأيديولوجيا في النص الروائي.

رابعا- الأيديولوجيا وسوسيولوجيا الرواية:

يستند المنهج الاجتماعي في دراسته للنّصوص الأدبية في ضوء سياقه الواقعي بربط الإبداع الأدبي والفنّي بواقعه الاجتماعي، حيث أنّ الظّواهر الفنّية والجمالية هي وقائع تاريخية يتولّى علم الاجتماع فهمها وشرحها وتفسيرها بينما يتكفّل التّاريخ بوصفها وتحقيقها وفهمها وفق حقبة زمنيّة معينة وعليه "تطرح سوسيولوجيا الأدب على بساط البحث العلاقات التي تقيمها والحياة الأدبية مع الحياة الاجتماعية... ظهرت العلاقة بين الأدبي والاجتماعي بمزيد من الوضوح حين بدا الأدب يظهر كقيمة مؤسّسية"[2] إنّ التحليل السوسيولوجي للنصوص الأدبية وبكل ما يحتويه من معطيات سياسية وثقافية واجتماعية وتاريخية ودينية وأيديولوجية يرتكن إلى ربط الإبداع الأدبي والفني بواقعه الاجتماعي والتاريخي.

هذا ما يذهب إليه بلحسن، حين يطرح رأي المنظر الهنغاري "جورج لوكاتش" في قوله: "أمّا جورج لوكاتش فإنّه يأخذ نفس التقاليد المنهجية ليحاول تكوين سوسيولوجية ماركسيّة للأدب والرواية تستوعب العلاقات المعقّدة بين الأدب، الرواية والأيديولوجيا والمجتمع... إنّ أي مؤلف أدبي أو روائي لا يظهر من العدم بل تفرزه ظروف تاريخية – سوسيولوجية ملموسة فلا بد إذن لفهم هذا العمل من دراسة الفترة التاريخية، التي شكّلت السّياق التاريخي لإنتاجه كنص، وفهم العلاقات الاجتماعية التي عالجتها، والتي سادت في

[1]- رشيد وديجي، (سوسيولوجيا النص الروائي عند بيير زيما،مفاهيم وآليات تحليل الرواية) ،مجلة العلامة، جامعة مولاي اسماعيل،المغرب،العدد الخامس ديسمبر 2017،ص 167، 176.

[2]- بول آرون وألان فيالا، سسيولوجيا الأدب، تر: محمد علي مقلد، مراجعة حسن الطالب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، ط1، 2013، ص 9- 15.

تلك الفترة"[1] هذه السوسيولوجيا الماركسيّة التي حاول لوكاتش تكوينها هي في رأي بلحسن تستوعب، وتحدّد العلاقة المعقدة بين الأدب والرواية والأيديولوجيا، ولكنّها حسب "روبير اسكاربيت" أقلّ صرامة، وما هي إلا معارضة للمدرسة الشكليّة حيث يقول: "... وعلى كون السوسيولوجيا التي يعتمدها الهنغاري جورج لوكاتش وتلميذه الفرنسي لوسيان غولدمان ماركسيّة فقد تكون أقلّ صرامة منها إلاّ أنّها أكثر وعيا للمشاكل الجمالية بنوع خاص، والمعارضة الرئيسية التي واجهها المنهج السوسيولوجي في الاتّحاد السوفياتي هي معارضة المدرسة "الشكلية" ففيما ندّد بها رسميا خلال الثلاثينات، ادّعت هذه المدرسة القويّة بأنّها تطبق علم الجمال على أشكال الفنّ الأدبي، وهي ليست في الحقيقة سوى وجه لحركة واسعة تنطلق جذورها من ألمانيا وفيها تتّخذ مؤثّرات الفلسفة النّيوهيغليّة[2] With elmDilthrg ، والنّقد الفقهي وعلم النّفس الشّكلي" وعلم الأدب هذا كان منذ نهاية القرن التّاسع عشر وما يزال حتى أيّامنا هذه إحدى أولى العقبات التي تعترض سوسيولوجيا أدبية حقيقية[3] وعليه فإن السوسيولوجيا الماركسيّة الّتي اعتمدها "لوكاتش وغولدمان" رغم أنّها في نظر "اسكاربيت" يعتريها بعض النقص والتّقصير في فهم العلاقة المعقّدة بين الأدب والرّواية والأيديولوجيا، إلاّ أنّها أكثر وعيا للمشاكل الجمالية بشكل خاص، ومن هنا يتّضح أنّ سوسيولوجيا الأدب بصفة عامة تجمع بين النصيّة والاجتماعية مع التّركيز على جميع الخلفيات التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، ضمن لاوعي اجتماعي يتشكّل داخل النص الأدبي فنّيا وجماليا.

[1]– عمار بلحسن، الأدب والأيديولوجيا ص110، 111 / نقلا عن جورج لوكاتش،الرواية التاريخية ص111.

[2]– النيوهيغلية: وتعني الهيغلية الجديدة وهي تيار فلسفي ظهر في انجلترا و الولايات المتحدة الأمريكية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى في فرنسا وامتزجت بالوجودية وهي ترفض الجدل أو تقتصر على مجال الوعي فحسب وتفسر هيغل بشكل لاعقلاني بروح فلسفة الحياة.

[3]– روبير اسكاربيت، سوسيولوجيا الأدب، مرجع سبق ذكره ص 28،27.

ومع ذلك فإن بلحسن يرى أن الإنتاج الأدبي والأيديولوجيا جزء لا يتجزّأ من العملية الإنتاجية الاجتماعية الكليّة، وبهدف التحليل السوسيولوجي للإنتاج الأدبي إلى تحديد شبكة القوى الاجتماعية، وهذا ما تحدّده الشخصيات الروائية والقصصية.

يعود بلحسن إلى المنظر الهنغاري "جورج لوكاتش" حيث يتحدّث عن منهجه الذي طبّقه لدراسته أعامل "تولستوي"، ويخرج بعدها بنتيجة، وهي أن المادَية التاريخية وتحليل النظريّة الماركسيّة في دراسة المجتمع يعتبر تحقيبا تاريخيا، أدّى إلى تطوّر الشكل الروائي اضافة إلى الأشكال الأدبيّة الأخرى ضمن سياقات تاريخية حيث يقول بلحسن: "إنّ مسار وتطوّر الرواية كشكل أدبي يمكن تحقيقها على أساس التوازيات بين ولادة ونمو وسيادة البورجوازية وولادة وتطور ونمو الرواية كملحمة جديدة للعنصر الرأسمالي..."[1].

إن بلحسن يرى أن البورجوازية والعنصر الرأسمالي وما ورد في روايات بلزاك وفلوبير وتولستوي أدّى إلى الأفول الأيديولوجي للبرجوازية وتحوّل الطبقة العاملة إلى خشبة المسرح الاجتماعي، وإذا ما عدنا إلى "تولستوي" وأدبه الّذي يترجم طبقة الفلاّحين حيث أصبح النّاطق باسم ملايين الناس المنتمين لهذه الطبقة الاجتماعية بقول باختين: "...لقد نجح تولستوي باعتباره مفكّرا أيديولوجيا وأخلاقيا ومبشّرا، في أن يتناغم مع طبقة الفلاّحين وفي أن يصبح حسب تعبير "لينين"، النّاطق باسم ملايين وملايين الناس الممثلين لهذه الطبقة الاجتماعية...".[2]

إنّ روايات تولستوي وتعبيرها عن هذه الطّبقة والتي جعلته يعرف بأدب الفلاّحين جعلته ينجح في تفكيره الأيديولوجي حيث كانت مهمّته أن يترجم أفكار هؤلاء النّاس ومع ما يوجد في أفكاره من تناقضات كانت بمثابة مرآة عكست ما جرى في تلك المرحلة من نشاط تاريخي لهؤلاء الفلاحين وهذا ما يؤكّده باختين بقوله: "...إنّ تولستوي عظيم بصفته مترجما لأفكار وعقليّة ملايين الفلاّحين الرّوسيين أثناء اندلاع الثورة البورجوازية في روسيا، تولستوي أصيل لأن مجموع أفكاره إذا أخذت ككل، تعبّر بكيفية صائبة عن

[1]– عمار بلحسن، الأدب والأيديولوجيا، ص112،113.

[2]– ميخائيل باختين: الخطاب الروائي، ترجمة محمد برادة دار الفكر للدراسات ،القاهرة–باريس ط1 1986 ص 176.

خصوصيات ثورتنا باعتبارها ثورة بورجوازية فلاحية، من هذه الزّاوية،فإنّ التّناقضات التي جرى فيها النشاط التاريخي لطبقة الفلاحين خلال ثورتنا".[1]

إنّ التّعبير عن أوضاع هذه الطبقة والذي جاء في أعمال تولستوي بشكل خاص وما يحتويه من تناقضات وصراعات اجتماعيّة،في رأي بلحسن هوما جعل ارتباطها الوثيق بالرواية كجنس أدبي، وما تحتويه من أيديولوجيات تدرس سوسيولوجيا لفهم هذه العلاقة الرواية الأيديولوجيا، إلاّ أن تولستوي تخلى عن طريقته القديمة وغيَر طريقة عمله، حيث اهتمّ بعد ذلك بالفلسفة الدينية والفلسفة الأخلاقية وهذا ما يؤكده باختين حين يقول: "فبعد أن تخلَى تولستوي عن طريقته القديمة،فإنّه لم يتوصّل قطّ إلى تشييد أشكال فنّية جديدة تكون ملائمة لتوجيهه الاجتماعي الجديد..."[2] والرواية كجنس أدبي ومع الظروف التاريخية والاجتماعية التي أدّت إلى نشأتها وتشكّلها في الوسط البورجوازي وكنموذج على ذلك ذكر بلحسن بعض الروائيين الذين مثلوا هذا الجنس الأدبي أمثال "بلزاك" و"تولستوي" لتحديد وفهم العلاقة بين الأدب والأيديولوجيا سوسيولوجيا وكذا لتوضيح حضور الأيديولوجيا في النصوص الأدبية والروائية على وجه الخصوص ومن خلال ذلك نستخلص ما يلي:[3]

– ما الرواية البورجوازية إلاّ شكل جديد أو تطور لأشكال أدبية قديمة، كالإلياذة والأوديسّا فهي بمثابة ملحمة جديدة تعبّر عن صراعات وتناقضات وقعت في مجتمعات أثناء فترة تاريخية محدّدة، وذلك لأنّ الإلياذة والأوديسا تعبّران عن أمور ترتبط بالعقيدة،وصراع الآلهة وحضور للأسطورة[4] وتمثل الرواية وما تحمله من تناقضات وصراعات حدثت في فترة تاريخية معيّنة في الوسط البورجوازي والرأسمالي، هي أساسا تعبير عن أيديولوجيا.

–الرواية البورجوازية ترتبط ارتباطا وثيقا بالواقع التاريخي، وتعتمده وذلك لأنّ الروائي يعتمده كمادَة أولية لعمله،كما أنّ التحليل السوسيولوجي للرواية يرتبط بالسّياق التاريخي

[1]– المرجع السابق، ص 176.

[2]– المرجع نفسه، ص 176.

[3]– عمار بلحسن، الأدب والأيديولوجيا، ص 104،105.

[4]– ينظر حربي عباس محمود، الفلسفة القديمة، ص 53،54.

والاجتماعي في آن واحد،لأن مقاربة النص الروائي سوسيولوجيا تقتضي ربطه بالمرحلة التاريخية.[1]

– يعتبر أدب "تولستوي" وما جاء فيه من ترجمة لأفكار الفلاّحين الرّوسيين أثناء الثورة البورجوازية النموذج الأمثل الذي عكس تلك التناقضات والصّراعات التي حدثت في تلك الفترة .[2]

والمنهج المناسب لفهم العلاقة بين الأدب والأيديولوجيا في رأي "بلحسن" هو المنهج الذي طبّقه المنظّر الهنغاري "جورج لوكاتش"[3] وبتكوينه سوسيولوجيا ماركسية تدرس الفترة التاريخية التي شكّلت السياق التاريخي للنص الروائي، وبلحسن في دراسته هذه للكشف عن العلاقة بين الأدب والأيديولوجيا، ركّز على جنس أدبي محدد وهو الرواية، وليست أي رواية بل الرواية البورجوازية التّاريخية، وهذا لا يعني أنّ النصوص والأجناس الأدبية الأخرى كالشعر والمقامة والقصة والمسرح لا تحتوي على ايديولوجيّات، ولا تدرس سوسيولوجيا يقول "محي الدين أبو شقرا" في دراسة له لنصوص شعرية سوسيولوجيا: "تعتمد سوسيولوجيا الأدب –هنا– على أسلوب تحليل المضمون، الذي يتعامل مع النص كوثيقة اجتماعية تحمل معاني أو قيما معيّنة يتم استخراجها إحصائيا، فهي تحاول كشف المغزى الأيديولوجي لنصوص الغزل والمديح والهجاء والفخر، معتبرة "أنّ الفن الأصيل إنّما تبرزه روح اجتماعية أصيلة تعبّر عن العصر كلّه وترسم ملامحه وتحدد أيديولوجيّته، ومن هنا كانت الصّلة وثيقة بين الأدب والأيديولوجيا من جهة وبين الأدب –كفنّ– وروح العصر من جهة ثانية".[4]

وحسب هذا الرأي الأخير فإنّه يتضح أن العلاقة بين الأدب والأيديولوجيا لا تقتصر في دراستها و الكشف عنها على جنس أدبي معيّن كالرّواية، فالشّعر كذلك بمختلف أغراضه كفن أصيل بالنّظر إلى ظروف إنتاجه، وبتعبيره عن العصر مثقل بالمعاني

[1]– بول آرون وألان فيالا، مرجع سبق ذكره، ص 20.

[2]– جورج لوكاتش، الرواية التاريخية ، ص114.

[3]– عمار بلحسن، الأدب والأيديولوجيا ص 110، 111.

[4]– محي الدين أبو شقرا، مدخل إلى سوسيولوجيا الأدب العربي، مرجع سبق ذكره، ص 58.

الأيديولوجية وهذا ما يوضحه"أبو شقرا" بقوله:"... أمّا لماذا التركيز في البحث، على كشف المغزى الأيديولوجي لهذه النّصوص بالذّات؟ذلك لأن هذه النصوص مثقّلة بالمعاني الأيديولوجية، وهي جملة من نصوص شعرية أنتجت على امتداد أكثر من خمسة عشر قرنا، في شروط اجتماعية وسياسية وثقافية معينة، حكمت تكوينها اللغوي والفنّي والدلالي...".[1]

وهكذا يتّضح أنّ الرواية وحدها ليست الجنس الأدبي الوحيد الذي يتضمّن بين أسطره الأيديولوجيا، فالأجناس الأخرى كنتاج أدبي عام محمّلة بالأيديولوجيا، وخاصة ومنذ عصر النهضة فالأدب يعكس ما يحدث في المجتمع، في كل المجالات السياسية والثقافية وغيرها ولعلّ هذا ما ذهب إليه العروي بقوله: "منذ عهد النهضة أي منذ ما ينيف على القرن الآن والإنتاج الأدبي العربي يعكس للقارئ صورة مباشرة أمينة عما يحدث في المجتمع وفي المجال الثقافي عامة..."[2] يقصد العروي بذلك أن الأدب العربي بصفة عامة شمله تطوّر حيث يقسّم هذا التطوّر إلى ثلاث مراحل، بيّن في المرحلة الأولى والتي يسمّيها المرحلة النيوكلاسيكية كيف طرأ التحوّل على الأجناس الأدبية، فأصبحت القصيدة كرمز تعبّر عن الوطنية والمقامة إلى هجاء، ونقد للمجتمع يقول العروي: "... يمكن أن نميّز في هذا التطور ثلاث مراحل تطابق لحظات الوعي الثلاث التي فصّلناها في القسم الأول: أولا: مرحلة نيوكلاسيكية، حيث قامت حركة التحقيق اللغوي والأدبي بإحياء فنون القول القديمة وتوظيفها لنشر أفكار ومشاعر جديدة، فتحوّلت القصيدة إلى نشيد وطني، والمقامة إلى هجاء اجتماعي، والنّبذة التاريخية إلى مقالة سياسية...".[3]

وما لحق الأدب من تطور في العصر الحديث أصبح تعبيرا عن الوطن، وأداة للأحزاب السياسية وحماسا وفخرا يقال في الحروب والثّورات، وهجاء يتصدّى للظلم،وغياب العدالة الاجتماعية، وكذلك ظهور الشعر السياسي الذي برع فيه العديد من الشعراء، حيث استعملوه في الردّ على المستعمر والطّامعين في الأوطان، وبهذا التطور

[1]– المرجع السابق، ص 58.

[2]– عبد الله العروي، الأيديولوجيا العربية المعاصرة، ص 217.

[3]– المرجع نفسه، ص 217.

أضحت الأيديولوجيا ملازمة للأدب في مختلف وشتّى أجناسه وأشكاله وليس في الرواية فقط.

وعلى غرار ما سبق فإنّ بلحسن يرى أنّ الدراسة السّوسيولوجية غير كافية للكشف عن العلاقة بين الأدب والأيديولوجيا فالنصّ الروائي في نظره مرتبط بالنص الأيديولوجي الكبير فلا بد إذن من تحليل لغوي – دلالي لفهم هذه العلاقة.

ونستخلص من خلال ما تقدّم ومع تطور الأدب بتطور المجتمعات، تطورت كلّ الأجناس الأدبية، كالشعر والمقامة والنّبذة التاريخية وغيرها، ولمّا اهتمّ الأدباء بتصوير الواقع الاجتماعي والتناقضات الإنسانية فإنّهم عبّروا على ذلك في أشكال أدبيّة مختلفة، وليست الرّواية وحدها التي اجتمعت فيها هذه التّناقضات التي تعبّر عن أيديولوجيا مختلفة، كما أنّه من التقصير النّظر إلى الرواية من جانبها السّوسيولوجي فقط لإثبات أنّها الجنس الأدبي الذي يمثّل عهد الأيديولوجيا وحتى يتّضح ذلك لا بد من الرجوع إلى بنيتها الدّاخلية ودراستها دلاليا– لغويّا للكشف عن مدى احتوائها للنصوص الأيديولوجية مخالفة للأجناس الأدبية الأخرى وهذا ما توصل إليه بلحسن في النهاية.

خامسا– الرّواية واللّغة:

يعتبر بلحسن الأدب نصّا من نصوص الأيديولوجيا تتجلّى علاقته بها في الرواية ويذهب إلى التحليل السوسيولوجي للرّواية ودراستها في السّياق التاريخي، ويرى أنّها ممارسة لغويّة ذات دلالات، فهي منتوج عمليّة تملك وتدمير وتشكيل، فالرواية بالدّرجة الأولى ممارسة في "الدّال" أي اللغة وهذا الدّال أو الدّلالات موجودة قبليّا في نصوص الآخرين، لأن الكاتب كما يرى بلحسن قبل الانطلاق في إنتاج نصه أو نصوصه،يقوم بمواجهة لنصوص الكتّاب[1] الآخرين، وهذا ما يقودنا إلى استحضار حوارية "ميخائيل باختين".

[1]– عمار بلحسن، الأدب والأيديولوجيا ص 120،121.

1- الحواريّة في الرواية الديالوجية:

تتّخذ الرواية الديالوجيّة ثلاث مستويات تتجلّى فيها حواريّة "باختين" وقد حدّدها بـــ التّهجين Lhybridation والعلاقات المتداخلة ذات الطّابع الحواري بين اللّغات والحوارات الخالصة.[1]

أ- تعريف التّهجين:

يعرّف باختين النهجين بأنّه: "... المزج بين لغتين اجتماعيتين في ملفوظ (émoncé) واحد إنّه لقاء في حلبة هذين الملفوظين بين وعيين لغويين مفصولين بحقبة أو باختلاف اجتماعي أوبهما معا...".[2]

لا تتحدّث الرّواية في نظر "ميخائيل باختين" بلغة واحدة، بل تعتمد على تعدّد لغوي مندمج فيها، حيث تتشكّل الرواية باستحضار أساليب الآخرين وهذا ما يعرف بتعدد الأصوات اللغوية، وعليه "فكل رواية في كلّيتها،من وجهة نظر اللغة والوعي اللساني المستثمرين فيها هي هجين".[3]

هذه الهجنة اللغوية داخل الرواية متعلّقة بالطابع الفردي وبالطابع الاجتماعي، بالطابع الفردي من خلال وعي الأفراد أصوات الأبطال مثلا، وبالطابع الاجتماعي من خلال التعبير عن وجهات نظر اجتماعية، أو عن رؤى متباينة للعالم.[4]

يتجلّى تعدّد اللغات في الرواية الواحدة من خلال وجهات نظر أفراد أو جماعات وتصوّرها أو رؤيتها للعالم، وهذا ما يستدعي أن تتشكل الرواية الديالوجيّة من صياغات لغويّة هجينة ومتعددة في الوقت نفسه تحمل دلالات في سياق لعمل روائي واحد بكامله.[5]

---

[1] -M.Bakhtine.esthétique et théorie du roman,Gallimard,1978,p : 175-176

[2] - IBID 175 ,176.

[3]- باختين ميخائيل، (المتكلم في الرواية)، ترجمة محمد برادة ،مجلة فصول عدد 2/ 1985 ص 116.

[4]- المرجع نفسه ص 114.

[5]- نفسه ص 114،115.

يجعل المزج بين لغتين اجتماعيتين أو أكثر في نصّ روائي واحد الأيديولوجيا تحضر بقوّة وبشكل أكثر في الرّواية، وذلك لأن تعدّد اللغات في النص الروائي الواحد يترجم أفكار المجتمع المختلفة، فاللّغة هي التي تعبر عن الأفكار، فكيف إذا تعدّدت لغات في رواية واحدة، وبذلك تكون الأفكار والأيديولوجيا متعددة يتعدّد اللغات في النص الروائي الواحد فاللغة بالنسبة للأيديولوجيا هي: "الأداة الأساسيّة المستخدمة في نقل وإيصال الأفكار وتفسيرها وتعليل أغراضها ومراميها، كما أنّها الوسيط القادر على التوجّه لمختلف الاتجاهات التي تدعو إليها...".[1]

ب-العلاقة المتداخلة ذات الطّابع الحواري:

وتعتبر العلاقات المتداخلة هي الشكل الثاني من أشكال الحواريّة التي تثبت تعدّد اللّغات في الرواية، فإذا كان التّهجين هو حضور لغتين في ملفوظ واحد مباشرة فهذه العلاقات المتداخلة ذات الطابع الحواري يسمّيها "باختين الأسلبة": وتتمثّل في حضور لغة "أ" من خلال لغة ضمنية "ب" في ملفوظ واحد، أي حضور اللغة بشكل ضمني وليس مباشرة كما في التّهجين، ومثال ذلك استعمال لغة القدماء في التّعبير عن موقف معيّن وعن إيديولوجيا[2] ولكنّها معروضة بشكل جديد، وعرضها بهذا الشكل الجديد، بأن تكون حاضرة ضمنيّا وهذا ما أشار إليه بلحسن حينما ذهب إلى أنّ الكاتب في ممارسته يجد نفسه أمام نصوص الآخرين المكتوبة في نفس النوع الأدبي: "-من حيث الزمن كنصوص قديمة تراثية أو جديدة معاصرة".[3]

ومن خلال تداخل هذه العلاقات ذات الطابع الحواري يتبيّن أنّ حضور اللغة الضّمني، أي اللغة التراثيّة القديمة في النّصوص الحديثة والمعاصرة هو ما عبر عنه بلحسن بغير الواضح والمخفي في الرواية والأدب الذي يصوّره باستعمال اللغة كمادَة أولية.

---

[1]- جوليا كرستيفا، الممارسة اللغوية ص 157.

[2]- باختين ميخائيل، المتكلم في الرواية، مرجع سبق ذكره ص 115.

[3]- عمار بلحسن، الأدب والأيديولوجيا ص 121.

وهكذا تكون الرواية جوابا أيديولوجيّا على مشاكل مطروحة بطريقة غير واضحة ولكنّها تتخلّل الرّواية بصورة مخفيّة وهذا ما يبحث عنه التّحليل اللّغوي للرواية أي البحث عن الضّمني والمخفي في بنية الرواية الّذي يحتوي تفسير حضور الأيديولوجيا في النص الروائي.

جـــ- الحوارات الخالصة:

المقصود بالحوارات الخالصة حوار الشخصيات فيما بينها داخل الحكي وهذا ما سمّاه أفلاطون قديما بالمحاكاة المباشرة، وذلك لأنّ "باختين" عندما تحدّث عن الحواريّة استعمل صيغا متعددة لتعبيره عن الشيء الواحد،فقد تحدث عن الحوارات الدراميّة الخالصة ثم عن حوار الرواية أي حوار الشخصيات المباشر في الحكي وهذا ما أثبته بقوله: "وحوار الرواية نفسه،بصفته شكلا مكوّنا، مرتبطا ارتباطا وثيقا بحوار اللغات الذي يرنّ داخل الهجنة وفي الخلفيّة الحواريّة للرواية".[1]

هذه الأشكال الثلاثة المتقدّمة في تشكيل المكون الحواري للفنّ الروائي، الغاية منها هي خلق صورة للّغة في الرواية، فالرواية من خلال تشكلها من تعدد اللغات فهي تتشكّل بالمقابل من أساليب مختلفة، حيث أنّها لا تكتب بواسطة اللغة وحدها وإنّما بواسطة الدّلالات والتصورات التي تحملها جملة من اللّغات، وهذا ما ذهب إليه بلحسن حيث اعتبر الرواية ممارسة لغوية، وذات دلالات وعليه ألا تعتبر هذه الأشكال من الحوارية التي تساهم في بناء النصّ الروائي وإنتاجه، تدخل ضمن ما يسمى تفاعلا نصياّ على حدّ رأيه عندما رأى أن وضعية الرّوائي في ممارسته الكتابية الروائية يقوم بمواجهة نصوص الكتّاب الآخرين".[2]

إنّ ما هو أساسي في الحواريّة الباختينيّة ليس إيجاد علاقة منطقية أو شكلية أو بلاغية بين ملفوظين، بل تحقيق علاقة دلالية، وحوار فكري يظهر من خلاله تباين معلن في المواقف، فتقاطع وتعدد اللغات يؤدّي إلى تعدّد الأصوات وتعدّد الأصوات يؤدي إلى

[1]- باختين ميخائيل، المتكلم في الرواية، ص 116.

[2]- عمار بلحسن، المصدر السابق، ص 121.

تعدد الأساليب وهذا ما يجعل الرواية مزيجا من الحوارات الفكرية وبالتّالي الأيديولوجية، فكلّما تعددت الأصوات وتغيّرت الأساليب وحضرت اللغات تعددت الأيديولوجيات في النص الروائي.

2- التفاعلات النصية في الرواية:

إنّ ما يوضحه "تودوروف" عندما ناقش مبدأ الحوارية أعطاه تسمية جديدة وهي (التّناص) حيث يقول : "كلّ علاقة بين ملفوظين، تعتبر تناصّا فكلّ نتاجين شفويّين، أوكلّ ملفوظين يحاور أحدهما الآخر، يدخلان في نوع خاص من العلاقات الدلاليّة نسمّيها علاقات حوارية".[1]

ينفتح النص الروائي لحظة إنتاجه على نصوص أخرى، وهذا ما يعرف بالتّفاعل النصّي حيث يساهم التّفاعل النصي من خلال أشكاله المختلفة من تناص وميتناص وغيرها في جمع العديد من القضايا المطروحة سابقا، سواء أكانت أدبية أم أيديولوجية في نص واحد يقول "سعيد سقطين" في هذا الصّدد: "إنّ الميتناص الأدبي والأيديولوجيا يهيمنان بشكل كبير وندخل في الأيديولوجيي كلّ ما اتّصل بقضايا اجتماعية وسياسية وفكريّة عامّة، وتبرز لنا هذه الهيمنة في كون العديد من الشخصيات لها صلة بالثقافة والسياسة والأدب".[2]

تبرز أشكال التّفاعل النصّي ومستوياته المختلفة من مناص وتناص وميتانص كيف تتشكّل بنية النص الأدبي الرّوائي وعلاقته مع بنية نص آخر أصلي، وما تستدعيه من قضايا أيديولوجية، وتبرّر موقف الكاتب من نظرته للمجتمع، ومن تصوره للعالم مع مزجه لنصوص تاريخيّة بنصوص حديثة، يؤكد يقطين هذا حين يقول: "النص الرّوائي وهو يتفاعل مع النص الآخر يحوّله لبنيته،ينقل عوالمه الخاصّة به (أسلوبيا –لغويّا – طرائق حكي...) ولكنّه من خلال تفاعله معه ينتج نصّا جديدا هو النص الروائي".[3]

---

[1] - T.Todorov,(Mikhail.Bakhtine,le principe dialogique,S.euil)1981.p95.96.

[2] – سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي ، ص121.

[3] – المرجع نفسه، ص 126.

وهذا ما تراه "جوليا كرسيتفيا" عندما ذهبت إلى أنّ النص هو عبارة عن تداخل وتفاعل نصوص سابقة تساهم في إعادة بناء وتشكيل نص آخر حيث تقول: "يتألّف كلّ نص من فسيفساء من الاقتباسات كلّ نص امتصاص وإعادة تشكيل لنص آخر".[1]

وليست هذه الفسيفساء إلا مزيجا من الأفكار والأيديولوجيات المستمدَة من الواقع الذي يتقاطع ويتداخل في ذهن الكاتب، ومنها يشكل نصّه كمجموعة من الأفكار والأحداث السّابقة في ثوب جديد، لا نلمسه بسهولة، بل بعد دراسة دقيقة وواعية باستحضار كلّ خلفيّة من خلفيات هذه النصوص داخل هذا النصّ الجديد، وذلك لأنّ كل استخدام أدبي يتضمّن بعدا أيديولوجيا واجتماعيا كما ترى ذلك" جفرسون"، حيث تقول: "إنّ كلّ استخدام للغة بما فيه الاستخدام الأدبي هو استخدام اجتماعي وأيديولوجي في آن واحد".[2]

ومن خلال ما سبق نستخلص أنّ الحوارية في الرواية الديالوجية تقود إلى التفاعلات النصية حسب ما وضّحه "تودوروف"، لأنّ هذا التداخل والتفاعل بين النصوص السابقة والنصوص الحديثة تمّ بواسطة اللغة، وباستحضار نصوص تاريخية فهي مزج أساليب وطرق حكي وأفكار وأحداث سابقة تعبّر عن الواقع، فلا يكون الكاتب روائيا إلا إذا قرأ روايات الآخرين وتأثّر بها فهو لا ينطلق من فراغ، فحين يشكّل عمله أو روايته فهو بصدد مواجهة روايات الآخرين وأعمالهم وهذا ما عناه بلحسن بأنّ الرواية هي ممارسة في الدال وهذا الدال موجود في أعمال الآخرين ورواياتهم فهو حين يشرع في إنتاج نصه وتشكيله يكون متأثرا بنصوص الآخرين وقد واجهها ومرّ بها، وحين يستخدم اللغة استخداما أدبيا يستخدمها اجتماعيا وأيديولوجيا معا، وهذا هو النص الأدبي الروائي، الذي يجمع بين اللغة والمجتمع والأيديولوجيا في وقت واحد.

---

[1]– الرويلي ميجان والبازعي سعد ،دليل الناقد الأدبي،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ،المغرب بيروت ،لبنان ،ط1 ،2005 ص319.

[2]– جيفرسون آن، روبي ديفيد ،النظرية الأدبية الحديثة ،ترجمة سمير مسعود ،منشورات وزارة الثقافة سورية ،دط ،1992 ،ص70.

3- مسألة الرواية والأيديولوجيا عند باختين (الكلمة في الرواية):

يرى بلحسن أن الرواية استجابة لحاجات اجتماعية –أيديولوجية لجمهور قارئ محدد اجتماعيا وتاريخيا، حيث أن منتج الرواية أي الكاتب يقوم بإنتاج كلمة موجهة أساسا للقارئ"[1] هذه الكلمة موجودة أساسا في الرواية كما تحدّث عن ذلك باختين فهو يعتبر أن "الرواية هي المجتمع، الرواية كلمة –خطاب والكلمة دليل أيديولوجي ودليل اجتماعي وأداة للوعي... والكلمة كظاهرة أيديولوجية تتطوّر باستمرار وتعكس بأمانة كل التغيرات الاجتماعية".[2]

هكذا إذن يظهر تعريف "باختين" للرواية حيث حددها بأنّها المجتمع والخطاب،وهي كذلك الكلمة التي تعتبر أداة للوعي والدّليل الاجتماعي والأيديولوجي حيث يجعل من الأيديولوجيا مادّة أساسية في الرواية والرواية هي الجنس الأدبي الذي يتضمّن الأيديولوجيا كعنصر بنائي وجمالي كما يقول "الحميداني": "أن الأيديولوجيا باعتبارها أيضا مكونة من وحدات معنوية تدخل إلى الرواية كمؤسس جمالي بنائي فيها".[3]

وعليه بالأيديولوجيا تحضر في الرواية ككلمة وكعنصر جمالي يساهم في بنائها كمادَة أوليّة لا يمكن الاستغناء عن هذه المادَة كونها المضمون الجوهري الخفي للرواية حيث يقول "الحميداني" في هذا الصّدد "الأيديولوجيا تقتحم النص باعتبارها مكوناته الأولية، لأنّه لا يمكن بناء نص روائي إلا من خلال هذه المادَة الأولية"[4] وبالإضافة إلى كون الأيديولوجيا وسيلة بناء للنص الروائي، يختلف حضورها في النص الروائي باختلاف الفئات والمجتمعات واللغات، وزيادة على ذلك أنّه لكل مفرداته ونبراته ولغته الخاصة به، وهذا ما يعبر عنه باختين بقوله: "... ولكل جيل في كل فئة اجتماعية في كل لحظة تاريخية من حياة الكلمة الأيديولوجية لغته... زد على ذلك أنّ لكلّ عمر، في الواقع

---

[1]- بلحسن عمار،الأيديولوجيا والأدب ص 134.

[2]- سامية داودي، (ميخائيل باختين، الرواية مشروع غير منجز)، مجلة الخطاب،جامعة تيزي وزو، العدد 13 ص 1و2.

[3]- حميد الحميداني، مرجع سبق ذكره، ص 53.

[4]- المرجع نفسه ،ص 26.

لغته ومفرداته ونظام نبراته الخاص التي تتغيّر تبعا للشّريحة الاجتماعية والمنشأة العلمية".[1]

تتغيّر الكلمة الأيديولوجية حسب "باختين" بتغيّر اللّغات وحسب السن والموقع الاجتماعي والمنشأة العلمية وحسب تغير الزّمن،فأيديولوجيا اليوم ليست بأيديولوجيا الأمس وأيديولوجيا الحاضر ليست بأيديولوجيا الماضي، واللغة هي الأداة والوسيلة الأساسية التي تتحكم في اختلاف هذه الأيديولوجيات، يقول" باختين" في هذا الصدد:"وهكذا فاللغة في كلّ لحظة من لحظات وجودها التاريخي متنوعة كلاميا إنّها التعايش مجسّدا بين تناقضات الحاضر والماضي الاجتماعية الأيديولوجية بين مختلف حقب الماضي، وبين مختلف فئات الحاضر الأيديولوجية والاجتماعية، بين الاتّجاهات والمدارس والحلقات الخ، ولغات التنوع الكلامي هذه تتلاقح بأشكال مختلفة مشكّلة لغات جديدة نمطية اجتماعيا".[2]

يقصد باختين بهذا الطرح أنّ لغات التنوع الكلامي تتمازج فيما بينها لتشكل لغات اجتماعية جديدة في النّصوص النثرية الروائية، وبذلك يكون قد رجع إلى حديثه عن تعدد اللغات، وتعدد الأصوات في الملفوظ الواحد.

هذا التمازج والتداخل الكلامي هو ما جعل الأيديولوجيا تتخلل النصوص وتبثّ فيها ككلمات أيديولوجية معبّرة عن المجتمع بشتّى صفاته من تعدد لغاته وأفكاره وطرق عيشه سواء في الماضي أوفي أي وسط وفي أي مستوى مهما كان قريبا أو بعيدا.

وهذه الكلمة التي ينتجها الكاتب، والتي تتواجد في الرواية وظيفتها حسب بلحسن هي الإجابة عن حاجات اجتماعية أيديولوجية لجمهور معيّن من القرّاء، لكنّه لم يتكلم عن التعدد الكلامي وتنوعه، بل اقتصر على الكلمة فقط وحضورها في الرواية، ومساهمتها في عملية تبليغ القارئ، ومن خلال عرض الكلمة في الرواية عند ميخائيل باختين، نستخلص أنّ الكلمة ليست كلمة واحدة، وإنّما هي عبارة عن تنوّع كلامي أيديولوجي،

[1]– ميخائيل باختين، الكلمة في الرواية، ص 48.

[2]– المرجع نفسه، ص 49.

وكلما كثر التنوع الكلامي تنوعت اللغات وتعددت في النص الروائي، وبذلك تتعدد الأيديولوجيات بحضورها في النص الروائي جرَاء هذا التعدد اللغوي والكلامي.

نستخلص كذلك من خلال ما تقدم أن الكلمة الأيديولوجية لا تحضر في الرواية كجنس أدبي فقط حسب ما ذهب إليه بلحسن، وإنّما الكلمة تحضر في أجناس أدبية أخرى كأن تحضر في الشعر كذلك، وهذا ما ذهب إليه باختين في كتابه (الكلمة في الرواية)، حيث تكلّم عن حضور الكلمة في الشّعر،ثم تكلم عن حضورها في الرواية كجنس أدبي نثري، يقول باختين: "هذا لا يعني بطبيعة الحال أن التنوّع الكلامي أو حتى لغات الغير لا يمكن أن تدخل في العمل الشعري إطلاقا،الحقيقة أن هذه الإمكانات محدودة: هناك مجال معين للتنوّع الكلامي في الأجناس الشعرية الوضعية فقط (الهجائية، الكوميدية...الخ) ومع هذا بالإمكان دخول التنوع الكلامي (اللغات الأيديولوجية الاجتماعية)حتى في الأجناس الشعرية الخالصة.[1]

يقصد باختين بالتنوع الكلامي اللغات الأيديولوجية الاجتماعية، فهي بالإمكان حضورها في العمل الشعري الوضعي، وحتّى في الأجناس الشعرية الخالصة كذلك، وعليه فالتنوع الكلامي والكلمة الأيديولوجية لا تقتصر على دخولها للرواية فقط كجنس أدبي، بل تتواجد في أجناس أدبية أخرى كالشعر.

سادسا – علاقة الأدب بالأيديولوجيا في البنيويّة التكوينيّة:

طرح بلحسن إشكالا حول الوظيفة الإجتماعية التطبيقية للممارسة اللغوية الدلالية للرواية حيث عرض رأيين "للوسيان غولدمان" يتمثّل الرأي الأول حسب ما يرى بلحسن في أنّ الوظيفة الأساسية للأدب لا تختصر في وظيفة واحدة فقط، وهي الوظيفة الجمالية، لأنّ الوظيفة الاجتماعية للأدب أكبر تأثيرا، وبالتّالي لا يمكن إهمال واستبعاد هذه الوظيفة، لأنّ ارتباط الممارسة الأدبية والروائية باللغة يجعلها تقوم موضوعيا بوظيفة أو وظائف أيديولوجية وتجيب على حاجات اجتماعية فكرية[2] حيث أنّه لا يمكن التمييز بين الروايات

[1]– المرجع السابق، ص43.

[2]– عمار بلحسن، الأدب والأيديولوجيا ص135،136.

الهابطة الرديئة والروايات التي تحقق الانسجامية وتتضمّن إشباعا جماليا وخياليا ،وعليه فالوظيفة الأساسية للخلق والإبداع الأدبي هي منح المجموعات الاجتماعية وعيا وإبداعا ،كما يرى بلحسن وهذا حسب الرأي الأول لغولدمان.

أمّا فيما يخص الرأي الثاني أنّ الرواية تجيب على حاجات أيديولوجية حيث يظهر هذا الجواب كخطبة موجهة للقارئ، فالراوي يأخذ الكلمة ويجعلها كواسطة لتبليغ خطبته أي رسالته عن الواقع، وهذا ما يجعل من الرواية خطابا أيديولوجيا، وكلمة مبنيّة بمواد وعناصر سردية.[1]

من خلال عرض الرأيين السابقين لغولدمان وحتى يتبيّن سبب اختيار بلحسن لهما فلا بد من التطرق للبنيوية التكوينية ودورها في تشكيل علاقة الأدب والأيديولوجيا، والتي تبين لنا الوظيفة الاجتماعية التي تربط بين الأدب والأيديولوجيا في النصوص الروائية لأن بلحسن اقتصر فقط على عرض رأي غولدمان كونه صاحب المنهج البنيوي التكويني دون أن يبيّن دوره في تشكيل هذه العلاقة بين الأدب والأيديولوجيا.

1- البنيويّة التكوينيّة:

تتكوّن البنيوية التكوينية من كلمة"البنيوية"وتتمثل في التعامل مع النص كبنية تدرس في إطارها الخاص ولا شيء خارجها، وكلمة"التكوينية" وتتمثّل في التركيز على الدراسة السابقة لكن بطريقة موسّعة أي الممازجة بين ما هو داخل النص وخارجه، يقول "الذهبي اليوسفي" في هذا الصدد: "إنّ الدراسة التحليلية للرواية تقابلها مرحلة التّفسير لدى غولدمان وهنا يتم التركيز على القراءة الداخلية للنص بمعزل عن التأثيرات الخارجية قدر الإمكان، ويقابل هذا التناول التّفسيري مرحلة أخرى تركّز على الشرح، وهي تناول القراءة السابقة بشكل موسّع يعتمد على المقابلة والمراوحة المستمرة بين الداخل والخارج... فتقرأ الرواية مرَة في ضوء الإطار الخاص بها، ومرَة في ضوء الإطار المرجعي الأشمل المحيط بها وهو السّياق الإجتماعي...".[2]

---

[1]- المصدر السابق ، ص 137،138.

[2]- الذهبي اليوسفي، الأدب والأيديولوجيا في النقد الأدبي الحديث ، ص 232.

التّعامل مع النص الأدبي وبالأخص النص الروائي بنيويّا تكوينيّا هو المزج بين الإطار الداخلي والخارجي للنص، والتّعامل معه كنتاج لغوي وكنتاج اجتماعي في الوقت ذاته لأن شرح النص وتفسيره وتحليله، لا يقتصر على النص كبنية لغوية فقط بل النظر إلى النص كواقع اجتماعي كذلك، وقد حدد "غولدمان" هذا التبنّي حيث على الباحث أن يتعامل مع الرواية بوصفها:

-وحدة مكتفية بذاتها.

الرواية نتاج لواقع اجتماعي معين، وذلك من خلال مرحلتي الفهم والتفسير من ناحية والشرح من ناحية أخرى.[1]

وهذا ما عبّر عنه "بول باسكادي" يقصد البنيويّة التكوينيّة لدى غولدمان بقوله: "نسجّل إذن أنّ البنيوية التكوينية تسعى إلى تحقيق وحدة بين الشكل والمضمون،بين حكم القيمة وحكم الواقع، بين التفسير والفهم، بين الغائبة والحتمية".[2]

وكذلك ما ذهب إليه الحميداني حينما اعتبر تحليل الرواية يبنى على مقامين،أوّلهما هو التوجّه إلى بنية العمل الداخلية،وهي كمرحلة أولى يسميها غولدمان مرحلة الفهم والمرحلة الثانية، وهي المرحلة التي يتمّ فيها الرّبط بين البنية الدالّة وبين إحدى البنيات الفكرية المتصارعة في الواقع الثّقافي في المجتمع.[3]

حيث يؤكّد ذلك الحميداني بقوله: "إنّ مفهوم البنية (Structure) ومفهوم التكوين(Genése) هما الأساس الذي تقوم عليه البنيوية التكوينية (Structuratisme genétique)، من حيث أن المرحلة الأولى-كما ذكرنا- هي المتعلّقة بدراسة البنية وفهمها وأنّ المرحلة الثانية هي المتعلّقة بدراسة التكوين أي ربط العمل بالبنى الفكريّة

[1]- المرجع السابق، ص 231.

[2]- لوسيان غولدمان وآخرون، البنيوية التكوينية والنقد الأدبي،ترجمة محمد سبيلا،مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت، لبنان، ط2 سنة 1986 ص 46.

[3]- حميد الحميداني، النقد الروائي والأيديولوجيا ص 68.

الموجودة خارجه،أي تفسيرهذا العمل وإدراك وظيفته ضمن الحياة الثّقافية في الوسط الإجتماعي".[1]

ومن خلال ما سبق نلخص إلى أنّ النص الأدبي وبما فيه الرواية، عبارة عن ممارسة لغوية في إطار اجتماعي محدد، وبذلك تمزج البنيوية التكوينية عند غولدمان بين النص الأدبي كبنية لغوية جمالية، وكبنية اجتماعية مستقّلة، فالرّواية جنس أدبي لابدّ من النّظر إليه شكلا ومضمونا، وتأبى أن ينظر لها من زاوية واحدة، فإذا أخذت من الناحية السوسيولوجية تهمل اللغة والدلالة وإذا درست من النّاحية الدلالية واللغوية أهمل الجانب السوسيولوجي يقول غولدمان: "الرواية تأبى كل التأويلات السوسيولوجية السّهلة، لكن بشرط، أن ترفض ذلك الإغراء الذي يمثّله شكلها بالذات، وهو تأويلها على مستوى المضمون والتفاصيل.... إن الرواية باعتبارها سيرة ووقائع، تنطوي بالضرورة على تصوّر واقعي للمجتمع، الذي هو مجرّد عنصر ولا يكتمل معناه إلا بالنسبة للمجموع"[2] فهي تجمع بين النصية والإجتماعية، وذلك بالتّركيز على الخلفيات التاريخية والإجتماعية والإقتصادية والسياسية والثقافية، وكيف تتشكّل داخل النص الأدبي فنّيا وجماليا، وهذا ما ذهب إليه "رولان بارت" حينما رأى"أنّ القراءة السوسيونقدية هي التي تجمع بين النصيّة أو الجمالية الأدبية والواقع الاجتماعي، أي: تمزج بين الأدب كبنية جماليّة مستقلّة والمعطى السوسيولوجي، كما هو حال البنيوية التكوينية للوسيان غولدمان الذي يماثل بين البنية الأدبية المستقلة والبنية الإجتماعية المستقلة بدورها عن طريق الإنعكاس غير المباشر، ومن هنا ترى كايار(F.Gaillard) أنّ تدوين النص الإجتماعي في النص الروائي لا يقرأ من خلال الأقوال الأيديولوجية بشكل ظاهر...بل من خلال تضمين هذه الأقوال في السّرد وذلك وفق نمط إدماجي يقوم بعمليّة التحويل"[3] وعليه عند عودتنا إلى بلحسن لماّ عرض رأي غولدمان حينما رأى "أنّ السوسيولوجية الجنينيّة البنيويّة لا تهتمّ بمضمون قطاع الحياة الإجتماعية ومضمون الأدب كشكل للعلاقة الجوهرية بينهما...وإنّما

[1]– المرجع السابق، ص 68.

[2]– لوسيان غولدمان وآخرون،المرجع السابق ص166.

[3]– رولان بارت وآخرون ننظريات القراءة،ترجمة عبد الرحمن بوعلي ،دار الحوار،اللاذقية،سورية الطبقة الأولى 2003 ص 12.

بإعطاء المجموعة الإجتماعية التي تتلقّى هذا الخلق وعيا وإدراكا بانسجامية حياتها عن طريق التمثيل الجمالي الروائي المقدّم لها من طرف الكتّاب والأدباء والمبدعين"[1] إذن فالإهتمام هنا ليس بالعلاقة بين الحياة الإجتماعية، وبين الأدب وإنّما الغاية من ذلك هي الوصول إلى وظيفة كلّ منها بعد تشكّل هذه العلاقة، وهذا ما يراه بلحسن بعد ذلك حين يقول: "...نرى أنّ الوظائف الاجتماعية للأدب أكبر تأثيرا وأوسع مدى وأكثر فعالية من وظيفة تحقيق انسجاميّة الوعي والرؤية للاوعي،...ذلك أنّ ارتباط الممارسة الأدبيّة والروائيّة باللّغة يجعلها تقوم موضوعيا بوظيفة أو وظائف أيديولوجية"[2] وعليه فإن الوظيفة الحقيقية للأدب تتجلى في وظيفته الاجتماعية، حيث تكون أكثر فعالية من تحقيق الانسجامية للوعي والرؤية للوعي، بل تتعدّى ذلك إلى القيام بوظائف أيديولوجية، وذلك من خلال ارتباطها الوثيق باللّغة ولكن لا يعني هذا أنّنا نستطيع فصل الأدب عن علاقته بالحياة الاجتماعية، بل النّظر إليه دائما كظاهرة اجتماعية أولا وهذا ما يراه كذلك "روبير اسكاربيت" حين يقول: "يجب النّظر إلى الأدب في علاقته غير المنفصلة عن حياة المجتمع وفي خلفيّة العناصر التاريخيّة والاجتماعية التي تؤثّر في الأديب...الأدب هو ظاهرة اجتماعية، هو الإدراك الحسّي للحقيقة عبر الصور الخلاقة".[3]

إنّ للأدب علاقة قويّة بالحياة الاجتماعية، لأنّ الظروف التاريخية والاجتماعية التي أنتج فيها هذا النص هي التي تؤثّر بالدّرجة الأولى في الأديب وتجعله ينتج صورا خلاّقة عن طريق إدراكه الحسي للحقيقة، وهذا ما يجعل الأيديولوجيا تحضر في النص الروائي كدليل يربط الدليل اللغوي بالمدلول الاجتماعي، وهذا ما يؤكّده "الحميداني" بقوله: "إنّ المظهر اللّساني للأدب هو في الوقت نفسه مظهر اجتماعي وهذه النّقطة بالذّات يوضحها باختين بشكل دقيق في كتابه "الماركسية وفلسفة اللغة"، وخاصة عندما يتحدّث عن علاقة الدّليل اللغوي بالدليل الاجتماعي، فالدليلSinge لا يعكس الواقع، ولكنه يجسّده، ويدخل

[1]– ارجع عمار بلحسن، الأدب والأيديولوجيا، ص 135،136.

[2]– المصدر نفسه، ص 136،137.

[3]– روبير أسكاربيت، سوسيولوجيا الأدب، ص25.

في سياقه، يقول:" كل ما هو أيديولوجي يملك مرجعا ويحيلنا على شيء ما له موقع خارج عن موقعه وبعبارة أخرى فكل ما هو أيديولوجي هو في الوقت نفسه بمثابة دليل".[1]

يميّز بلحسن من خلال طرح رأي غولدمان بين الوظائف الإجتماعية والوظيفة الجمالية للأدب، ويذهب في الوقت ذاته إلى التّمييز بين الروايات الجيّدة والروايات الهابطة، حيث يرى أن الوظيفة الإجتماعية للأدب تتعدّى الإطار الضيّق، وهذا ما يؤكّده بقوله: "إنّ استجابة واقبال القراء على الروايات الهابطة فنّيا، تؤكّد أنّ هذا النوع له وظيفة إجتماعية تتعدى الإطار الضيق لوظيفة تحقيق الإنسجام والإشباع الجمالي والخيالي".[2]

وهكذا لا تقتصر وظيفة الأدب على تحقيق الإنسجام والإشباع الجمالي والخيالي،بل الوظيفة الحقيقية للأدب هي الوظيفة الإجتماعية بالدرجة الأولى،فإذا كان غولدمان حسب رأي بلحسن يركّز على النص كبنية لغوية، ويربط هذه البنية بفئة اجتماعية معينة فباختين يقيّم النص في الإجتماعي ويربط الأيديولوجي بالقول اللغوي، ولا يميّزه سواء أكان في نطاق لغوي متداول أو كان صياغه أدبيّة مميّزة، وهذا ما يؤكده الحميداني بقوله: "...غولدمان يبقي على البنية وإن أقام علاقة التّناظر بينها وبين البنية الأوسع، أو بين بنية العمل الأدبي من جهة والبنية الذهنيّة للفئة الإجتماعية التي يعيد الأديب تركيبها في النص،بينما يتجاوز–باختين– هذه المسألة فيقيم النص في الإجتماعي إذ يقيم الأيديولوجي في القول اللغوي سواء كان هذا القول في نطاق اليومي المتداول أم كان صياغة أدبية متميّزة في جنس معين".[3]

وعليه فالحميداني يرى أنّ باختين تجاوز غولدمان في نظرته إلى حضور الأيديولوجيا في القول اللغوي، فهي تحضر في النص الأدبي دون تمييز سواء أكان هذا النص في مستوى راق أم متدنّي فهو بذلك لا يخالف بلحسن في طرحه لرأي غولدمان وإنّما يرى أنّ طرح باختين أقوى من طرح غولدمان، لكنّه يلمس بعض التّناقض بعدما استحضر كلاّ من رأي غولدمان وباختين، ويوضّح الحميداني ذلك بقوله: "أعتقد أن ثمّة

[1]– حميد الحميداني،النقد الروائي والأيديولوجي ص 49.

[2]– عمار بلحسن،الأدب والأيديولوجيا، ص 137.

[3]– حميد الحميداني، المرجع السابق، ص 45.

بعض التناقض: كيف يمكن التوفيق بين مفهوم يرى إلى النص {كذا} في بنيته، ومفهوم يقيم النصوص على تمايزها في حقولها الثقافية وعلى مستواها المشترك الّذي هو مستواها الأيديولوجي، على هذا المستوى تتعدّد المواقع، وتختلف وتتناقض، وليس تعدّدها هذا وتناقضها سوى حركة الصّراع الإجتماعي"[1] وهكذا يخالف الحميداني بلحسن عند استشهاده برأي غولدمان الذي يركّز على البنية الأدبية والتي يعتبرها بمثابة عمق النص، ولا يهتم بطبيعة هذه البنية، وكذا بتعدّد المعاني التي يحملها النص وعليه فالحميداني يرى أن باختين تجاوز غولدمان عندما تحدّث عن الحواريّة، وكذلك أنّه لم يفصل بين الأدب والحقول الثقافية والأيديولوجية، وقد لخّص الحميداني ما تجاوز به باختين غولدمان في هذه القضية التي يطرحها "الحميداني" في النقاط التالية:[2]

-غولدمان يقول فقط بوجود بنية داخلية في العمل الأدبي، ولكنّه لا يجيب على سؤالين هامّين وهما:

-ما هي طبيعة هذه البنية ؟.

-ما هي الوسائل والأدوات التي تمكن من تحليلها؟

-غولدمان يسعى فقط إلى تحديد البنية الدالّة الّتي تعتبر عمقا للنص.

-غولدمان بعد اكتشافه البنية الدالّة ينتقل إلى مقارنتها بأوسع مناظرة لها ويلتمس وجودها في الحقل الثّقافي أو الأيديولوجي.

-أمّا باختين لا يفصل بين الأدب والحقول الثقافية والأيديولوجية، فهذه الحقول موجودة أصلا في الإبداع وملتحمة بالمظهر اللّساني فيه ولا حاجة لإقامة مقارنة بين البنية الأدبية والبنية الأيديولوجية ما دامت هذه الأخيرة كائنة في النص.

[1]- المرجع السابق، ص 46.

[2]- ينظر نفسه ص48

-باختين كما يرى الحميداني استطاع أن يكشف ما لم يستطع غولدمان التوصّل إليه وهو تحديد مفهوم البنية تحديدا دقيقا،حيث يستدل بجواب باختين ذاته في ذلك بأن هذه الطبيعة اجتماعية باعتبار أنّ المظهر اللساني للأدب هو في الوقت نفسه مظهر اجتماعي.

-يرى باختين أنّ الحواريّة هي الوسيلة والأداة الممكنة لتحليل بنية الرواية، فهي ذلك الشيء الأساسي الذي ينقص البنيوية التكوينية".[1]

بالإضافة إلى ما سبق، وبعد ما اتضح أنّ الحميداني يخالف بلحسن في طرح رأي غولدمان في قضيّة علاقة الأدب بالأيديولوجيا، ومن خلال توضيح دور البنيوية التكوينية في تحديد علاقة البنية الاجتماعية بالنص الأدبي الروائي، ومع أن غولدمان هو صاحب البنيوية التكوينية فالحميداني يرى أن ما ذهب إليه باختين قد تجاوز آراء غولدمان بطرحه مبدأ الحوارية، وتعدد اللغات والأصوات، ومع ذلك فبلحسن لم يتطرّق إلى كيف تتشكل علاقة الأدب بالأيديولوجيا بنيويا تكوينيا، واقتصر على رأيي غولدمان فقط.

ولعلّ الذّهبي اليوسفي فيما ذهب إليه في معالجة العلاقة القائمة بين السّياق الأدبي والسّياق الإجتماعي، والّتي ضمنها تتشكّل علاقة الأدب بالأيديولوجيا خلص إلى النتائج التالية:

-النص ليس سوى حامل للأيديولوجيات يجب الكشف عنها، وعادة ما يتم التوصّل إلى هذه "الأيديولوجيا" بصفة آليّة، ومن هنا تتجلّى الأيديولوجيا في بعض الأحكام النقدية المرتبطة في الأصل بالخلفية الأيديولوجية للباحث، وليست نابعة مما يتضمنه النص من أيديولوجيا فتتشكل علاقة الأدب بالأيديولوجيا منهجيّا انطلاقا مما توفّرت عليه بعض المقاربات من مقابلات مرآوية، بين العمل الأدبي والواقع الإجتماعي، وما استتبعها من تسرّب لبعض الأحكام النّقدية التي تقدم الخلفية الأيديولوجية للباحث، من ذلك أن القراءة النّقدية تتحوّل في بعض المواطن إلى قراءة تكشف عن الأيديولوجيا بصفة مباشرة.

-أنّ علاقة الأدب بالأيديولوجيا في إطار المقاربة الواقعية ظلت رهينة السياق الأدبي وتمّ اختزال هذه العلاقة في جهاز اصطلاحي يكشف خصوصيّة المنهج الواقعي النقدي ،من ذلك أنّ الأدب ما هو إلا انعكاس مرآوي للواقع.

[1]- المرجع السابق ، ص،49.

-أنّ دراسة الأدب أصبحت تتحدّد بشروط المنظومة الإقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تتضافر في العمل الأدبي، وذلك من خلال ارتباط النص بالسياق الاجتماعي الذي تولّدت عنه مقولات نقديّة مستمدَة من منظومة الفلسفة المادَية التاريخية، حيث أثّرت المقاربة المنهجية للنصوص الأدبية في معالجة علاقة الأدب بالواقع الاجتماعي.

رافق التحوّل في دراسة الأدب تحول في مستوى تشكل علاقة الأدب بالأيديولوجيا، فلم يعد يُنظر إلى الأدب على أنّه يعبّر عن أيديولوجيا الكاتب بصفة مباشرة، وإنّما أصبحت دراسة النص تتمّ بواسطة الكشف عن بنيته الدّالة وربطها بالسياق الاجتماعي العام.

تعدّ البنيوية التكوينية من المقاربات الاجتماعية التي كان لها جهاز اصطلاحي يبدو متماسكا في مستوى الكشف عن علاقة الأدب بالواقع الاجتماعي، وذلك باعتماد مسار منهجي يتبع مراحل محدّدة في الكشف عن البنيات الدالة للنص والتي تنتهي بالكشف عن رؤية العالم.[1]

وهكذا نخلص إلى ما يلي:

-للأدب صلة وطيدة بالمؤسسات الإجتماعية، وأيديولوجيته تتحقق مادَيا وكتابيا ،فهي ممارسة إجتماعية – تطرح مسائل إجتماعية يعبّر عنها الأديب بمخاطبته جمهورا معينا ويكشف لكلّ طبقة ما تفكّر به الطبقات الأخرى لأن لكل طبقة أدبها الخاص وأيديولوجيتها الخاصة.

-اللغة جذع مشترك بين النص الأدبي والظروف الإجتماعية والأيديولوجيا، فالأدب إنتاج أيديولوجي، أُنتج تحت تأثيرها، وبكونه ينتج أيديولوجيا عامّة وآثارا أيديولوجية تكون مضمون في النص وهي حسب باختين علامة لغوية أو أيديولوجية لأنّ اللغة هي المادَة الأولية لتشكيل النص الأدبي وبالمقابل هي مليئة بالعلامات المحمّلة بالأيديولوجيا.

[1]– الذهبي اليوسفي، الأدب والأيديولوجيا في النقد الأدبي الحديث، ص282 ،284.

-الرّواية جنس أدبي خاص تعتبر امتدادا وتطوّرا ملحميّا للإلياذة والأوديسة، مليئة بالصّراع والتّناقض الأيديولوجي، فهي بهذه الصّورة ملحمة في ثوب جديد للبورجوازية، وهي التي تحضر فيها الأيديولوجيا بشكل أوسع.

-إنّ ما جاء في أعمال بعض الروائيين البورجوازيين أمثال "تولستوي" كنموذج بورجوازي وما تحتويه من صراعات اجتماعية لا بدّ أن تدرس سوسيولوجيا للكشف عن العلاقة بين الرواية والأيديولوجيا.

-تطوّر الأدب من خلال التعبير عن أفكار سياسية ومشاعر جديدة مع تنوّع الأجناس الأدبية مثل ظهور الشعر السياسي، والمقامة والنّبذة التاريخيّة أدّى كل ذلك إلى أدلجة الأدب إلاّ أن الرواية تختلف عن الأشكال الأدبية السّابقة الذكر، كونها تعبيرا عن التناقض والصراع بين الطبقات الاجتماعية.

-إنّ الرواية تتميّز بتداخل اللغات وتعدد الأصوات، وتحمل دلالات كثيرة، ولذا فالأيديولوجيا تقتحم النص الروائي ككلمة وكمادَة أولية تساهم في بناءه وتحضر كعنصر جمالي فيه.

-أنّ علاقة الأدب بالأيديولوجيا بنيويّا تكوينيّا تتشكّل منهجيّا انطلاقا من الخلفية الأيديولوجية للكاتب وهذا في نظر"الذهبي اليوسفي" وأنّ هذه العلاقة لا تتوقّف عند هذا وحسب وإنّما بالكشف عن بنية النص الدَالة وربطها بالسياق الإجتماعي العام.

الخاتمة

الخاتمة

يمكن حصر ما توصّلنا إليه بعد هذه الرحلة مع عمار بلحسن في كتابه "الأدب والأيديولوجيا" في النقاط التالية:

- أنّ الأيديولوجيا التي يمكن الاشتغال بها في هذا المجال"الأدب والأيديولوجيا "هي الأيديولوجيا التي نظَر إليها المفكر الإيطالي"أنطونيو غرامشي" لأنّها تشمل كل النّظم الاجتماعية، فهي متداخلة مع الطبقات ومتعدّدة وبعيدة عن الوعي الزّائف وتعبير عن الحقيقة وتتجلّى في الفنّ والأدب شكل من أشكال الفن.

- للأيديولوجيا أربع درجات تتجلّى في (الفلسفة، الدّين، الفلكلور، الحس المشترك)، وهذه الدّرجات لها علاقة بالأدب كذلك لأنّه يشمل هذه المراتب الأربعة، خاصّة الفلسفة لأنّ الأدب تمّت فلسفته ولم يبق مجرّد نصوص مليئة بالمشاعر والعاطفة، وإنّما غدا تعبيرا عن الواقع الاجتماعي والصراعات الموجودة فيه.

- للأيديولوجيا وظائف كثيرة ومن بين الوظائف الّتي ركّز عليها بلحسن في منهجه هذا وظيفة الربط، فهي تربط بين الطبقات، وكذا تربط بين الدّين والثّقافة والإيمان والمعتقدات، وفي وظيفتها هاته تحطيم للحواجز والجدران الفاصلة بين الطبقات.

- دراسة الأيديولوجيا مرتبطة بالمثقّفين، ولذلك طرح بلحسن مشكلة المثقفين ليعزّز دور وفاعليّة الأيديولوجيا وذلك من أجل الوصول للكشف عن العلاقة بين الأدب والأيديولوجيا، فالأدب بالدّرجة الأولى نتاج فكري ينتجه المثقّف، فالمثقف لا يفيد سياسيا أو اجتماعيا فقط وإنّما أيديولوجيا كذلك.

- الأدب سلوك بشري يحمل تصوّرا للعالم، تتخلّله الأيديولوجيا بطريقة ضمنيّة ومخفيّة، غير واضحة، وهكذا تكون عنصرا أدبيّا، تحضر النص الأدبي كعلامات ذات دلالات حيث تكون اللغة هي المادَة الأساسية لها وبذلك نستطيع القول عن الأدب والأيديولوجيا أنّهما وجهان لعملة واحدة هي اللغة.

- علاقة الأدب بالأيديولوجيا معقّدة وثريّة في الوقت ذاته ولدراسة هذه العلاقة والكشف عنها، يرى بلحسن أنّ الصّيغة العلميّة المناسبة لهذه الدراسة هي دراسة الأدب كممارسة أيديولوجية في إطار علاقته بالجماعات الأيديولوجية.

- الأدب مؤسسة اجتماعية يرتبط بمؤسسات اجتماعية أخرى وتكون مادَته الأولى هي اللغة ثم المجتمع فهو نتاج لغوي اجتماعي له صلة وطيدة بالجماعات الأيديولوجية ولكلّ جماعة أدبها الخاص.

- الأدب والأيديولوجيا أطروحتان متناقضتان، ودراسة وتحليل الأيديولوجيا الأدبية ينتجها شكل خاص من الأدب هو الرواية.

- إنّ الرواية البورجوازية خاصة هي الشّكل الأدبي الذي تحضر فيه الأيديولوجيا بصورة أكبر، لأنّ هذه الرواية لها علاقة وطيدة بالتاريخ وذلك لما تنقله من صراعات وتناقضات، وفي هذه الصّراعات أبعاد أيديولوجية تسكن النص الروائي لأنّها تعبير عن واقع محدد تاريخيا.

- أنّ الكاتب"الروائي"عند إنتاج نصّه يواجه نصوص الآخرين وهذا ما يعبر عن تعدد الأصوات واللغات والدلالات في النص الروائي.

- أنّ الأيديولوجيا في النص الرّوائي عبارة عن كلمة أو علامة، فهي رسالة بين الكاتب والمتلقّي، تجيب على حاجات اجتماعية، ولأنّ هذه الكلمة أداة للوعي والدّليل الاجتماعي والأيديولوجي.

- أنّ التّحليل السوسيولوجي للرواية وربطه بمرحلة تاريخية وحده غير كاف للكشف عن طبيعة العلاقة بين الادب والأيديولوجيا، وإنّما يجب دراسة لغوية وتحليل دلالي للرواية حتىّ يتوصّل الدارس للحد من هذا التناقض بين الأطروحتين"الأدب والأيديولوجيا".

- من بين الأمور التي تكشف العلاقة بين الأدب والأيديولوجيا في نظر بلحسن هي فعل الكتابة والبعد السلطوي، لأنّ وظيفة الكاتب أثناء إنتاج النص الأدبي هي تحويل اللغة وتشكيلها وإعادة تنظيمها داخل هذا النص، وكذلك لأنّ الكاتب له سلطة المنتج وسلطة من يعرف على من لا يعرف.

- يعتبر المنهج الأنسب لفهم العلاقة بين الأدب والأيديولوجيا في نظر بلحسن هو المنهج الذي طبّقه المنظّر الهنغاري"جورج لوكاتش" والذي يتمثّل في تكوين سوسيولوجا ماركسية تدرس الفترة التاريخية التي شكلت السياق التاريخي للنص الروائي.

- علاقة الأدب بالأيديولوجبا بنيويّا تكوينيّا تتشكّل منهجيا انطلاقا ممّا توفّرت عليه بعض المقاربات من مقابلات مرآوية بين العمل الأدبي والواقع الاجتماعي، وبما أنّ الأدب

انعكاس مرآوي للواقع فدراسة النص الأدبي تتمّ بواسطة الكشف عن بنيته الدالّة وربطها بالسياق الاجتماعي العام.

وهكذا نخلص إلى أنّ بلحسن تخرّج بتشكيل منهج علمي لدراسة العلاقة بين الأدب والأيديولوجيا حين جمع بين قضايا الواقع الثقافي والأيديولوجي والاجتماعي، وربطها بالممارسة الأدبية والروائية،وهذا المنهج يغطّي نقصا في طرق تحليل مسائل ثقافتنا لمزاوجته بين علم اجتماع الثّقافة والأدب، ومن خلال ما طرحه من خلفيات فلسفية ومعرفيّة تاريخيّة، فقد تمكّن بلحسن من الوصول إلى نتيجة كليّة شاملة حين جمع بين الأيديولوجيا والمثقّف، وعلاقتهما بالأدب بصفة عامة والرواية بشكل خاص ليصل إلى أنّه لا بدّ من المزج بين دراسة الرواية وربطها بالمحيط الخارجي أي سوسيولوجيا مع تحليل بنيتها الدّاخلية، بمعنى لغويّا ودلاليّا وهذا ما يكشف العلاقة بين الأيديولوجيا والأدب.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا المصادر:

1. عمّار بلحسن: الأدب والأيديولوجيا، المكتبة الشعبية، المؤسسة الوطنية للكتاب، شارع العربي بن مهيدي–الجزائر– دط 1984.

ثانيا المراجع:

أ/المراجع باللغة العربية:

1. ابراهيم حمادة، مقالات في النقد الأدبي، دار المعارف، مصر دط1982.
2. ابراهيم محمود خليل، النقد الأدبي من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط1 2003.
3. أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1994/10.
4. أحمد حمدي، جذور الخطاب الأيديولوجي الجزائري، دار القصبة للنشر دط2009.
5. أحمد خلفون وآخرون، اشكالية العلوم الإجتماعية في الوطن العربي، دار التنوير دط،دت.
6. أحمد محمود صبحي وصفا عبد السلام جعفر، في فلسفة الحضارة، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، دط2000.
7. أنطونيوس بطرس، الأدب تعريفه، أنواعه، مذاهبه، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس لبنان، دط 2005.
8. بكري خليل، الأيديولوجيا والمعرفة، دار الشروق، الأردن ط1، 2002.
9. حميد الحميداني، النقد الروائي والأيديولوجيا من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان ط1 ،1990.
10. خالد زيادة، الكاتب والسلطان من الفقيه إلى المثقف، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية ط1، 2013.
11. خوري الياس، الذاكرة المفقودة، دراسات نقدية، مؤسسة الأبحاث العربية ط1، 1982.

12. الذّهبي اليوسفي، الأدب والأيديولوجيا في النقد العربي الحديث، الدار المتوسطة للنشر الجمهورية التونسية، ط1، 2016.
13. رزيق بوزغاية، ورقات في لسانيات النص، دار المثقف للنشر والتوزيع، باتنة، الجزائر ط1، 2018.
14. الرويلي ميجان والبازعي سعد، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي، الدار البيضاء المغرب، بيروت، لبنان ط1، 2005.
15. سعيد يقطين، الأدب والمؤسسة نحو ممارسة أدبية جديدة، منشورات الدار البيضاء الرباط دط ،2000.
16. سعيد يقطين، القراءة والتجربة، الدار البيضاء، دار الثقافة، المغرب ط1، 1985.
17. سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي النص والسياق، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت لبنان ط2، 2001.
18. شكري غالي، شعرنا الحديث إلى أين، دار الآفاق الجديدة، ط2، 1978.
19. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دط ،1992.
20. عبد الرحمن خليفة وفضل الله محمد اسماعيل، المدخل في الأيديولوجيا والحضارة مكتبة بستان المعرفة، الاسكندرية دط ، 2006.
21. عبد الله العروي، الأيديولوجيا العربية المعاصرة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب ط2، 2006.
22. عبد الله العروي، مفهوم الأيديولوجيا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ط8، 2012.
23. عبد الله شريط، المشكلة الأيديولوجية وقضايا التّنمية في منطقة الحامداب، وحدة تنفيذ سدمروى، مؤسسة الصالحاني، دمشق ط1، 2004.
24. علي حرب، نقد النص، المركز الثقافي العربي، بيروت ط1، 1993.
25. عمار بلحسن، أنتلجنسيا أم مثقفون في الجزائر، دار الحداثة، بيروت ط1، 1976.
26. عمرو عيلان، الأيديولوجيا وبنية الحطاب الروائي، دراسة سوسيوبنائية في روايات عبد الحميد بن هدوقة، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر دط 2001.

27. الفجاري مختار، خطاب العقل عند العرب، كشف عن النص الغائب من ابن المقفع إلى الجاحظ، المطبعة العصرية دط 1993.

28. محمد زكي العمشاوي، دراسات في النقد الأدبي المعاصر، دار الشروق، القاهرة ط1 1994.

29. محمد سبيلا وعبد السلام بن عبد العالي، الأيديولوجيا، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب ط2، 2006.

30. محمود أمين، ثلاثية الرفض والهزيمة، دار المستقبل العربي، القاهرة، ط1 1985.

31. محي الدين أبو شقرا، مدخل إلى سوسيولوجيا الأدب العربي، الدار البيضاء، المغرب ط1 ،2005.

32. مصطفى عبد الغني، اتجاهات النقد الروائي المعاصر، عاصمة النشر، مصر، سوريا دط، 2012.

33. محمد مصطفى النور، الفلكلور والحياة الشعبية في منطقة الحامداب، وحدة تنفيذ سد مروي، مؤسسة الصالحاني ، دمشق ط1، 2004 .

34. ناصيف نصار، طريق الاستقلال الفلسفي سبل الفكر العربي إلى الحرية والإبداع دارالطليعة، بيروت ط2، 1979.

35. نبيل السمالوطي، التوجه الإسلامي وصراع المنطقات والنظريات، علم الإجتماع، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية دط ، 1976

ب/ المراجع المترجمة:

1.أركون محمد، الفكر العربي، ترجمة عادل العوَا، بيروت، منشورات عويدات، باريس.دط، دت.

2.أنجليتون تيري، النقد والأيديولوجيا، ترجمة فخري صالح، المجلس الأعلى للثقافة، اشراف جابر عصفور دط، دت.

3.أندور هيود، مدخل إلى الأيديولوجيا، السياسية، ترجمة محمد صفار، القاهرة، مصر ط1، 2012.

4.آنيا لومبا، الكولونيالية وما بعدها، ترجمة باسل المسالمة، الدار العربية للعلوم، بيروت ط1، 2007.

5.باختين ميخائيل، الكلمة في الرواية، ترجمة يوسف حلاّق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ط1، 1998.

6.بول كلافال، الدين والأيديولوجيا، آفاق جغرافية، ترجمة فرج عون، الدار المتوسطة للنشر، تونس ط1، 2010.

7. بول آرون وألان فيالا، سسيولوجيا الأدب، تر: محمد علي مقلد، مراجعة حسن الطالب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، ط1، 2013.

8.تزفيتان تودوروف، الأدب في خطر، ترجمة عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب ط1، 2007.

9.تزفيتان تودوروف، نقد النقد، ترجمة سامي سويدان، ليليان سويدان، دار الشؤون الثقافية بغداد ط2، 1986.

10. تودوروف تزفيتان، مفهوم الأدب ودراسات أخرى، ترجمة عبود كسوحة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا ط1، 2002.

11. جان بول سارتر، دفاع المثقفين، ترجمة جورج طرابيشي، دار الآداب، بيروت ط1، 1973.

12. جان تكسيه، غرامشي دراسة ومختارات، ترجمة ميخائيل عبيد، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق 1972.

13. جورج لوكاتش، الرواية التاريخية، ترجمة صالح جواد الكاظم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق ط2، 1986.

14. جون بول سارتر، ما الأدب، ترجمة محمد غنيمي هلال، دار النهضة، مصر، الفجالة القاهرة دط، دت.

15. جيرار ليكلرك، سوسيولوجيا المثقفين، ترجمة جورج كنوره، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت، لبنان ط1، 2008.

16. جيفرسون آن، روبي ديفيد، النظرية الأدبية الحديثة، ترجمة سمير مسعود، منشورات وزارة الثقافة، سورية دط 1992.

17. روبير اسكاربيت، سوسيولوجيا الأدب، ترجمة آمال أنطوان عرموني، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان ط2، 1999.

18. رولان بارت وآخرون، نظريات القراءة، ترجمة عبد الرحمن بوعلي، دار الحوار، اللاذقية سورية ط1، 2003.

19. علي شريعتي، مسؤولية المثقف، ترجمة ابراهيم الدسوقي،شتا، دار الأمير للثقافة والعلوم بيروت، لبنان ط1، 2005.

20. كارل ماركس، فريديك أنجيلز، الأيديولوجيا الألمانية، ترجمة فؤاد أيوب، مصادر الاشتراكية العلمية، دار دمشق، دمشق، سوريا ط1، 1976.

21. لوسيان غولدمان وآخرون، البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، ترجمة محمد سبيلا، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان ط2، سنة 1986.

22. ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، ترجمة محمد برادة، دار الفكر للدراسات، القاهرة باريس ط1، 1986.

23. ميشال سيمون، أفهم الأيديولوجيا، دار الوقائع الاجتماعية، باريس 1978.

24. ويليك(ورينييه) وواين(أوستين)، نظرية الأدب، ترجمة محي الدين صبحي ومراجعة حسام الخطيب، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر دط، 1987.

25. ياكوف ألسبرغ، المنحى السوسيولوجي في النقد الأدبي، ترجمة نوفل نيوف، اتحاد الكتاب العربي دمشق ع1، 1978.

26. يانيك لوميل، الطبقات الاجتماعية، ترجمة جورجيت الحداد، دار الكتب الجديدة المتحدة بيروت، لبنان ط1، 2008.

ت/ المراجع الأجنبية:

1. I.ewis.peuer.idology and ideologisitis. bosil. b.l.a. ckuell. oxford. 1975.
2. Antonio Gramsci,the prison, notbooks, selections,tres, qui,ntin, loahect, andgelfrey, lhowell,smith,nEw, york, intrnational, pu,bl, shers.
3. Ferdin,and,de,sau,ssure,cour,de lingustique generale,pu,blié pat
4. Charles,bally,et,albert,secheh,aye,payot,paris,France 1984.
5. A.mbakhtine(v.n.volo.chihov) le marxisme,et la philosophie,du langage, e.ss.ai.d :aplication de lanethode,sociolog, que,en
6. Lingistique,tr,ad, du russe et presenté par marine yaguelle
7. Paris, mihuit 1977.
8. M.bakhtine,es,thetique,et the, orie du roman,gallimard1978.

9. T,todorov,M.khail,baktine le rincip,dialogique,seuil 1981.

ث/المقالات:

1. أحمد مداس (الأيديولوجيا وصراع المركز والهامش عند الفرنسيين)، مجلة المخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، نقلا عن حربي عباس محمود، الفلسفة القديمة، العدد07، 2011.
2. جوليا كرستيفيا (الممارسة اللغوية) مجلة بيت الحكمة، العدد 05 السنة 02 أبريل 1987.
3. حبيلة الشريف(القيم بين واقعية الفعل وسلطة المرجع مقاربة سوسيولوجية في الرواية العربية)، اسلامية المعرفة، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر عدد 83، 2016.
4. رشيد وديجي (سوسيولوجيا النص الروائي عند بييرزيما، مفاهيم وآليات تحليل الرواية) مجلة العلامة، جامعة مولاي اسماعيل، المغرب، العدد 05 ديسمبر 2017.
5. زكي نجيب محمود (الأيديولوجيا ومكانها من الحياة الثقافية) مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة عدد04، 1985.
6. سامية داودي، (ميخائيل باختين الرواية مشروع غير منجز)، مجلة الخطاب، جامعة تيزي وزو، العدد 13.
7. عموري السعيد (الأيديولوجيا، الخطاب النص، نحو مقاربة مفاهيمية) مجلة الأثر،العدد الثامن عشر جوان 2013.
8. كمال أبو ديب (الأدب والأيديولوجيا) دار منشورة في مجلة فصول، مجلة النقد الأدبي الهيئة المصرية للكتاب، عدد04 الجزء02، 1985.
9. ياكوف ألسبرغ (المنحى السوسيولوجي في النقد الأدبي) ترجمة نوفل نيوف، مجلة الآداب الأجنبية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق عدد01، 1978.

جـــ/ المعاجم والقواميس:

1.إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في مصطلحات اللغة العربية، جروس–بروس شارع جميل عذرة، باسل سنتر، طرابلس، لبنان، ط1، 2012.
2.جبور عبد النور المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت،ط1، 1985.
3.محمد التنوخي، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1999.

4.مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر، عمان ط1، 2009.

حـــ/الموسوعات:

1. اسماعيل عبد الفتاح، عبد الكافي، الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية(عربي انجليزي).
2. راغب، موسوعة النظريات 324، ضمن مجلة فصول م01، ع02، يناير 1981.

حـــ/ الرسائل الجامعية:

1. كمال رايس، البعد الفني والأيديولوجي في الرواية الجزائرية المعاصرة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في الأدب العربي، جامعة محمد خيضر، بسكرة 2015/2014

المواقع الإلكترونية:

1. شايع بن هدال الوقيان: متى تصبح الأيديولوجيا فلسفة

الرابط:okaz.com.sa: article,https

2. ابراهيم علي: المجال الأدبي والمجال الأيديولوجي

Foucault,michel :reponse,au cerel,depstemologie,cahier pour lanalise, 1968.

3. الرواية كملحمة بورجوازية، شبكة الفصيح لعلوم اللغة العربية، الموقع

https ;//www.alfa.seel.com 1am,14/08/2008.

4. فلاديمير كريزينسي (باختين والمسألة الأيديولوجية)، ترجمة عبد الحميد عقر وحسن بحراوي، موقع سعيد بنكراد، مجلة علامات، العدد06، 1996.

https ;//aid.bengrad.free.fr

الملاحق

ملحق رقم01: السيرة الذّاتية للأديب والسوسيولوجي(عمار بلحسن)

عمّار بلحسن كاتب ومؤرخ وروائي وعالم اجتماع جزائري كبير ولد يوم 13 فيفري 1953 في منطقة مسيروة بولاية تلمسان غرب الجزائر، يكتب باللّغة العربية في جميع المجالات الأدبية والإجتماعية، يؤرّخ للجزائر وهو من المدافعين عن اللغة العربية والهوية الجزائرية.

تلقّ في بداية دراسته تعليما منظّما لكنّه استطاع التغلّب على الصعاب ومواصلة الدراسة لتتوّج مسيرته العلمية العصامية بدكتوراه في علم الاجتماع.

ورحل الأديب والسوسيولوجي إثر مرض عضال تاركا وراءه قصصا، ودراسات عديدة أهمها:

-المجموعات القصصية:"حرائق البحر" وهي أول مجموعة قصصية تصدر له، ثم تلتها "أصوات" و"فوانيس".

كما كانت له بحوث في قضايا الثقافة الجزائرية والإنسان الجزائرية، والتي صدرت في كتب من ضمنها: "الأدب والأيديولوجيا"، و"كشف الغمّة في هموم الأمة" والذي يدعو فيه لضرورة تثقيف السياسة بدل تسييس الثقافة.

كما أصدر بداية الثمانينات كتابا مهمّا بعنوان"أنتلجنسيا أم مثقفون؟" وأخيرا"يوميات وجع" التي صدرت في طبعة محدودة عن جمعية"الجاحظية" كما كانت له بحوث في قضايا الثقافة الجزائرية والإنسان الجزائري.

توفي يوم 29 أوت 1993 بمرض السرطان ويعتبر الأديب والسوسيولوجي الراحل عمار بلحسن رائدا من روّاد البحث في سوسيولوجيا الرواية والقصّة في الجزائر.

ملحق رقم02:ملحق التعريف ببعض أعلام الماركسية وروّاد الرواية البورجوازيّة

الرقم	اسم العلم	التعريف به
01	كارل ماركس	ولد كارل ماركس يوم 05 مايو/ أيار 1818 في مدينة تريز التّابعة يومئذ لمملكة بروسيا الواقعة شرق ألمانيا حاليا، ينحدر أبوه من عائلة يهوديّة. تلقى تعليمه الثانوي بمدينة تريز، وانتقل إلى بون عام 1835 لدراسة القانون ثم إلى برلين لدراسة التاريخ والفلسفة في مارس 1836 بجامعة"فريدريش فيلهلم" وشرع في انجاز أطروحته للدكتوراه عام 1839 حول الفلسفة الإبقورية وقد تخرّج بدرجة الدكتوراه سنة 1841 تأثر ماركس في بداية حياته الجامعية بالفلسفة الهيغلية وتعرف بعد ذلك على أفكار الاشتراكيين الفرنسيين خلال اقامته بباريس، وهذا ما جعله يتحوّل من الميثالية الهيغلية إلى المادّية، ومن الديمقراطية الثورية إلى الشيوعية الثورية عمل ماركس محرّرا في صحيفة الرّاين ثم رئيس تحريرها في أكتوبر 1842. تولى رئاسة فرع الرابطة الشيوعية في بروكسل سنة 1847، أسّس الجمعية الدولية للعمال عام 1846 وترأّسها عام 1866 إلى 1872. أنتج ماركس عدة أدوات نظريّة وتحليليّة، وصاغ جملة من المفاهيم في اطار نقده للمجتمع الرأسمالي ودعوته إلى ضرورة البروليتارية، كما صاغ مفهوم المادَية الجدلية انطلاقا من مفهومي الجدليّة عند هيغل والمادَية عند فيورباخ. كتب ماركس العديد من المؤلفات ويعدّ مؤلفه:"رأس المال" أهمّها ومن مؤلفاته كذلك"مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي" "نظريات فائض القيمة"،"بيان الحزب الشيوعي"،"بؤس الفلسفة" "الأيديولوجيا الألمانية"،"أطروحات حول فيورباخ "و"المسألة اليهودية" توفي كارل ماركس في 14 مارس/أذار 1883 بعد عدة أشهر من المرض، ووري الثرى بمقبرة هاي غيت في لندن.

02	فريديريك أنجلز	ولد في 28 نوفمبر 1820 في بارمن، بروسيا كان فيلسوفا ورجل صناعة ألماني، يلقب بأبي النظريّة الماركسية إلى جانب كارل ماركس اشتغل بالصناعة وعلم الاجتماع، وكان كاتبا ومنظّرا سياسيا وفيلسوفا، في عام 1945 نشر كتابه حالة الطبقة العاملة في انجلترا اعتمادا على ملاحظاته وأبحاثه الشخصية، في عام 1948 أصدر مع ماركس بيانهما المشهور والمعروف بيان الحزب الشيوعي ساعد ماركس ماديا في كتابه"رأس المال" وبعد وفاة ماركس نشر أنجلز الجزئين الثاني والثالث من هذا الكتاب، له مؤلفات كثيرة منها: - شيلنغ والرؤيا 1842. - مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي(1844). - ظروف الطبقة العاملة في انجلترا(1845). -الأيديولوجيا الألمانية –بالاشتتراك مع كارل ماركس(1846،1844). - مبادئ الشيوعية(1847). - بيان الحزب الشيوعي- بالاشتراك مع ماركس(1848). - الحرب الفلاحية في ألمانيا. - الثورة والثورة المضادَة في ألمانيا. توفي في 05 أغسطس 1895.
03	ليون تولستوى	الكونت نيكولا يافيتش تولستوى ولد(09 سبتمبر 1828) من عمالقة الروائيين الرّوس ومصلح اجتماعي وداعية سلام ومفكّر أخلاقي وعضو مؤثر في أسرة تولستوى، يعد من أعمدة الأدب الروسي في القرن التاسع عشر والبعض يعدّه من أعظم الروائيين على الإطلاق أشهر أعماله روايتي(الحرب والسلام) و(أناكارينيا) وهما يتربعان على قمة الأدب الواقعي، فهما يعطيان صورة واقعية للحياة الروسية في تلك الحقبة الزمنية . توفّي في 20 نوفمبر 1910.

04	فلاديمير أليتش أوليانوف لينين	ولد في 22 أبريل عام 1870، كان ثوري روسي ماركسي وقائد الحزب البلشفي والثورة البلشفية، كما أسس المذهب اللينيني السياسي رافعا شعاره الأرض والخبز والسلام، كان مسقط رأسه بـــ أوليانوفسك الامبراطورية الروسية واشتغل بالمحاماة والسياسة، اهتم بالفلسفة بالاضافة إلى نشاطه السياسي، من أشهر مؤلفاته"ما العمل؟"" المسائل الملحة لحركتنا"(1902) وكتاب"الامبريالية وأعلى حالات الرأسمالية"(1916) و"الدولة والثورة"(1917) و"أطروحات أبريل"(1917) وكتاب"المادَية والمذهب النقدي التجريبي". توفي في 21 يناير 1924 بطلقة من فانيا كابلان متهمة إياه بخيانة الثورة.
05	أنطونيو غرامشي	ولد أنطونيو غرامشي يوم 22 جانفي 1891 في بلدة"آليس""كاقلياري بايطاليا" يتابع غرامشي دراسته بين عامي(1894-1911) في مدرسة "دبيه" ويحصل على شهادة التعليم الابتدائية ولكن ظروفه المتواضعة أجبرته على ترك الدراسة ليشتغل سنتين، بمساعدة أمّه ثم يعود ثانية، وينشر مقالاته في اليومية التي تصدر في"كاقلياري"تحت عنوان"لونيوساردا"في سنة1911 يحصل على البكالوريا ويسجّل بعد حصوله على منحة في كوليج كارلوالبرتو بمدينة تورين بمعهد الآداب 1918/1912 يتابع غرامشي دراساته في الآداب والحقوق ويتدخل في مناقشة مواقف الحزب الاشتراكي. 1919 يصدر غرامشي بالتعاون مع مناضلين ايطاليين وهم"طاسكا" و"تراسينتي"و"توقلياتي" مجلّة أسبوعية ثقافية اشتراكية"لودينونوفو". - 1920 يكتب وثيقة نقدية من أجل تجديد الحزب الاشتراكي الايطالي. - 1921 ينتخب في أول لجنة مركزيّة خلال مؤتمر"ليفورن" الذي يشهد تأسيس الحزب الشيوعي على يده. - 1922 يتزوّج في موسكو بعد أن عيّنه حزبه ممثلا له في الاتحاد

		الاشتراكي. - 1925/1923 يعود غرامشي إلى ايطاليا حيث ينتخب نائبا يرأس اللجنة التنفيذية للحزب الشيوعي الايطالي. - 1926 يشارك في مؤتمر الحزب الثالث في"ليون"ويضع مع"توقلياتي"الأطروحة الخاصة بالاستراتيجية الجديدة للحزب. - 1936/1927 تقوم المحكمة الخاصة بالدفاع عن الدولة التي كونها الحكم الفاشي لموسوليني بالحكم عليه ب20 سنة سجنا، في السجن يبدأ في كتابه"دفاتر السجن"مؤلفه الأساسي، تتأزّم صحّته في السجن ويصاب بمرض السل ينقل إلى العيادة ويخرج من السجن بحرية جزئية، يتوفى في 27 أفريل سنة1937 ويدفن في مقبرة روما
06	لويس ألتوسير	ولد في 16 أكتوبر 1917 كان فيلسوفا ماركسيا، ولد في الجزائر ودرس في مدرسة الأساتذة العليا في باريس التي أصبح بمرّ السنين أستاذا للفلسفة فيها، كان عضوا في الحزب الشيوعي الفرنسي، يعتبر ألتوسير ماركسيّا بنيويّا رغم أنّ علاقته بمدارس أخرى للبنيوية الفرنسية ليست مسألة انتماء بسيط وقد انتقد العديد من أوجه البنيوية واعتبر أحد أهم المنظرين الماركسيين في القرن العشرين من مؤلفاته المبكّرة "قراءة رأس المال" وكتاب"تأهيل إلى الفلسفة للذين ليسو بفلاسفة" وصدرهذا الكتاب بعنوان"كتاب الفلسفة لغير الفلاسفة"، توفي ألتوسير في 22 أكتوبر1990 في لافيريير، فرنسا.
07	أنوريه دي بلزاك	ولد في مايو 1799 هو كاتب فرنسي وروائي من روّاد الأدب الفرنسي في القرن التاسع عشر، في الفترة التي أعقبت سقوط نابليون وكاتب مسرحي وناقد أدبي وكاتب مقالة وصحفي. ترك واحدا من أكثر الكتب الروائية إذهالا في الأدب الفرنسي مع أكثر من تسعين رواية وقصة قصيرة و137 قصة نشرت من عام 1829 حتى 1855 مجمعين بعنوان" الملهاة الإنسانية" ويضاف إلى هذا كتاب مئة قصة قصيرة فكاهيّة وأيضا روايات نشرت بأسماء

		مستعارة وحوالي خمسة وعشرون عملا موجزا. يعتبر بلزاك من روّاد الرواية الفرنسية، حيث تناول بها في أكثر من نوع وألَف التحفة المجهولة في الرواية الفلسفية وألَف رواية"المجلد المسحور" في الرواية الخيالية وفي الرواية الشعرية ألَف"الزنبق في الوادي" وقد برع أيضا في السياق الواقعي حيث ألَف"الأب غوريو وأوجيني غراندي" توفّي بباريس في 18 أغسطس1850.
08	إميل زولا	إميل فرونسوا زولا ولد في 02 أبريل1840 وهو كاتب وروائي فرنسي مؤثّر يمثّل أهم نموذج للمدرسة الأدبية التي تتبع الطبعانية وكان مساهما هاما في تطوير المسرحية الطبيعية، وشخصية هامة في المجالات السياسية. خلال سنوات حياته الأولى، كتب إميل زولا العديد من المقالات والقصص القصيرة وأربع مسرحيات وثلاث روايات من بين أوائل كتبه contes.à.vinon الذي نشر عام 1864، مع نشر رواية السيرة الذّاتية"اعترافات كلود" (1865) من أهم مؤلفاته"غموض مارسيليا"(1867)،مادلين(1868)،(1879)lacurée،(1880)nana ، الكارثة(1892)، العناء(1901).
09	جوستاف فلوبير	ولد في 12 ديسمبر1821 روائي فرنسي، درس الحقوق ولكنّه عكف على التأليف الأدبي، أصيب بمرض عصبي جعله يمكث طويلا في كرواسيه كان أول مؤلف مشهور له"التربية العاطفية"(1843-1845) ثم"مدام بوفاري"(1857) التي تمتاز بواقعيتها وروعة أسلوبها والتي أثارت قضية الأدب المكشوف ثم تابع تأليف رواياته المشهورة منها"سالامبو"(1862) ويعتبر فلوبير مثلا أعلى للكاتب الموضوعي الذي يكتب بأسلوب دقيق ومن أعامله كذلك"تجربة القديس أنطونيو"(1874) توفي في 08 مايو1880.
10	والتر سكوت	ولد سكوت في 15 أغسطس 1771، كان روائي وكاتب مسرحي وشاعر أسكتلندي، أصيب بداء الشلل قبل أن يبلغ عامه الثّاني من

		ولادته، في عام 1820 كتب أشهر رواياته على الاطلاق "ايفانهو"وقد اشتهر وعرف بفضل هذه الرواية التاريخيّة من رواياته الأخرى كذلك "ويفرلي"،"الطلسم". عمل سكوت بقية حياته محاولا أن يفي ديونه الكثيرة فأنتج في سنتين ستة كتب من بينها"حياة نابليون"، في تسعة أجزاء، توفي عام 1832 بعدما ساءت صحته.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

العنوان	الصفحة
مقدمة	أ
مدخل	05
أولا:مفهوم الأدب قديما	06
1/مفهوم الأدب عند النقاد المعاصرين الغرب	08
2/مفهوم الأدب عند النقاد المعاصرين العرب	11
3/ وظيفة الأدب	12
ثانيا: الأيديولوجيا المصطلح والمفهوم	15
1/الأيديولوجيا حسب المفاهيم الماركسية	16
2/ الأيديولوجيا حسب المفاهيم الرأسمالية	18
3/مفهوم الأيديولوجيا عند المفكرين والنقاد العرب	19
ثالثا: الأدب والأيديولوجيا	22
رابعا: علاقة الأدب بالأيديولوجيا حسب النظرية الواقعية النقدية والفلسفية الجدلية والبنيوية التكوينية	23
1/ الواقعية النقدية	23
2/ الفلسفة المادية الجدلية	24
3/ البنيوية التكوينية	24
4/ الكتابة وبعدها السلطوي	25
الفصل الأول: مقاربة الأيديولوجيا ووظيفتها(عند أنطونيو غرامشي)	27
أولا: مقاربة الأيديولوجيا	28
ثانيا: تجليات الأيديولوجيا	32
1-الأيديولوجيا والفلسفة	32
2-الفلسفة والأدب	34
3-الأيديولوجيا والدين	35

4/الدين والأدب	37
5/الأيديولوجيا والحس المشترك والحس السليم	38
6/الأيديولوجيا والفلكلور	39
ثالثا/وظائف الأيديولوجيا وهيمنتها	42
رابعا/المثقف والأدب والأيديولوجيا	44
1/مفهوم المثقف	44
2/المثقف العضوي	46
3/المثقف التقليدي	48
4/المثقف والأيديولوجيا	50
5/المثقف والأدب	51
6/المثقف والقارئ	52
خامسا/الأيديولوجيا عنصر أدبي	54
1/الأيديولوجيا واللغة والنص	54
2/الأدب والعلامات الأيديولوجية	56
الفصل الثاني: حضور الأيديولوجيا في الخطاب الأدبي	60
تقديم نظري	61
أولا:الجماعات الأيديولوجية وعلاقتها بالأدب	63
ثانيا:الأيديولوجيا في الأدب	66
ثالثا:الرواية كأيديولوجيا	72
رابعا:الأيديولوجيا وسوسيولوجيا الرواية	77
خامسا:الرواية واللغة	83
1/الحوارية في الرواية الديالوجية	84
أ/تعريف التهجين	84
ب/العلاقة المتداخلة ذات الطابع الحواري	85
جـــ/الحوارات الخالصة	86
2/التفاعلات النصية في الرواية	87

3/مسألة الرواية والأيديولوجيا عند باختين(الكلمة في الرواية).	89
سادسا:علاقة الأدب بالأيديولوجيا في البنيوية التكوينية	91
خاتمة	102
قائمة المصادر والمراجع	106
الملاحق	114
فهرس الموضوعات	122
ملخص	/

ملخص

ملخص:

يعد كتاب الأدب والأيديولوجيا لمؤلفه الجزائري عمار بلحسن من أهمّ الكتب التي عالجت قضيّة مهمة في النقد الحديث والمعاصر ألا وهي دراسة العلاقة بين الأدب والأيديولوجيا، ولمّا كان بلحسن ساعيا وراء ازالة اللبس والغموض عن العلاقة التي تجمع الأدب والأيديولوجيا كأطروحتين متكاملتين ومعقّدتين في الوقت ذاته، فقد جمع العديد من القضايا المرتبطة بالواقع الثّقافي والأيديولوجي والاجتماعي، وربط ذلك بالممارسة الأدبية والروائية، ليخرج بمنهج علمي معاصر في ميدان علم اجتماع الثقافة والأدب.

اعتمد بلحسن التدرّج في بحثه، ليطرح قضية الأيديولوجيا ومشكلة المثقّفين ممّا ساعده ذلك على الولوج إلى موضوعه وهو توضيح العلاقة التي تجمع الأدب والأيديولوجيا بصفة عامة والرواية والأيديولوجيا بصفة خاصّة حيث توصّل إلى أنّ فك هذه العقدة تكمن في الرواية كشكل أدبي خاص بأن تدرس سوسيولوجيا ولغويا- دلاليا كذلك.

وهكذا افتتحنا هذه الدراسة تبسيطا للقضايا التي طرحها بلحسن بمقدمة طرح فيه إشكال الدراسة والهدف منه ثم تلاها مدخل ركّزنا فيه على مصطلحات الأدب والأيديولوجيا ووظيفتهما والعلاقة بينهما، وبعدها جاء الفصل الأول موضّحا مقاربة الأيديولوجيا وربطها بالمثقفين عند المنظّر الإيطالي أنطونيو غرامشي وصولا إلى طبيعة الأيديولوجيا وكيف تكون عنصرا جماليّا أدبيّا، أمّا الفصل الثاني فقد جاء للكشف عن حضور الأيديولوجيا في الخطاب الأدبي والوصول إلى حقيقة التّمازج بينهما، وتمّت هذه الدراسة بخاتمة اشتملت على أهمّ النتائج المتوصل إليها مع إضافة ملحقين خصّص الأوّل لعرض السيرة الذّاتية لمؤلف الكتاب "موضوع الدراسة" عمار بلحسن والثّاني للتعريف بأهم الأعلام الماركسيين والروائيين البورجوازيين التي وردت أسماؤهم في هذا الكتاب.

Summary:

The Book of literature and ideology of the Algerian composer Ammar Belhasan is one of the most important books that addressed an important issue in modern and contemporary criticism, namely the study of the relationship between literature and ideology, and when he was seeking to remove confusion and ambiguity about the relationship that brings literature and ideology as two theses Complementary and complex at the same time, it has brought together many issues related to cultural, ideological and social realities, linking it to literary and fiction practice, to produce a contemporary scientific approach in the field of sociology of culture and literature.

In his research, Belhasan relied on the issue of ideology and the problem of intellectuals, which helped him to gain access to his topic, which is to clarify the relationship that combines literature and ideology in general, and novel and ideology in particular, where he found that the removal of this knot lies in the novel as a special literary form to study Sociological and linguistically-semantic as well.

Thus, we opened this study to simplify the issues presented by Belhasan with an introduction to the study and the purpose of the studies and then followed by a portal where we focused on the terminology of literature and ideology and their function and the relationship between them, and then came the first chapter explaining the approach of ideology and linking it to the intellectuals at the scene The Italian Antonio Gramm to the nature of the ideology and how to be a literary aesthetic, and the second chapter came to reveal the presence of ideology in the literary discourse and to reach the reality of mixing them, and this study was concluded with a conclusion which included the most important results reached with the addition Two attachments the first was devoted to the presentation of the biography of the author "The subject of the study " Ammar Belhasan and the second to publicize the most important Marxist and bourgeoisie novelists named in this book.